سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (42) | 8 / 7 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

تقرير لهيومن رايتس وتش عن سوريا:

كشف النقاب عن مراكز التعذيب

27 مركز اعتقال تم الوصول لمواقعها وأسماء بعض القيادات وأساليب التعذيب فيها

(نيويورك، 3 يوليو / تموز 2012) - قالت هيومن رايتس ووتش في تقرير أصدرته اليوم إن عددا من المعتقلين السابقين والمنشقين تمكنوا من تحديد المواقع، والجهات المسؤولة، وأساليب التعذيب المستخدمة، وفي كثير من الأحيان أسماء القادة المسؤولين عن 27 مركزاً من مراكز الاعتقال التي تديرها المخابرات السورية. يشير النمط الممنهج من إساءة المعاملة والتعذيب الذي وثقته هيومن رايتس ووتش بوضوح إلى أتباع الدولة لسياسة التعذيب وإساءة المعاملة، مما يمثل جريمة ضد الإنسانية.

التقرير المكون من 81 صفحة، وعنوانه "أقبية التعذيب: الاعتقال التعسفي والتعذيب والاختفاء القسري في مراكز الاعتقال السورية منذ مارس / آذار 2011"، إلى أكثر من 200 مقابلة أجرتها هيومن رايتس ووتش منذ بداية المظاهرات المناهضة للحكومة في سوريا في مارس / آذار 2011. كما يشتمل التقرير على خرائط تحدد مواقع مقرات الاحتجاز، وشهادات مسجلة في مقاطع فيديو من معتقلين سابقين، ورسوم توضيحية (رسم إسكتش) لأساليب التعذيب التي وصفها أشخاص عديدون ممن شاهدوا التعذيب أو تعرضوا له في تلك المقرات.

قال أوليه سولفانغ، باحث قسم الطوارئ في هيومن رايتس ووتش: "تدير أجهزة المخابرات شبكة مراكز تعذيب متناثرة في كافة أنحاء سوريا. ونحن حين ننشر مواقعها ونصف أساليب التعذيب ونحدد هوية المسؤولين عنها فإننا نرسل إلى هؤلاء المسؤولين إخطاراً بأن عليهم تحمل مسؤولية هذه الجرائم البشعة".

للاطلاع على صور الأقمار الصناعية لمراكز التعذيب في المدن التالية: دمشق وحمص وإدلب وحلب ودرعا واللاذقية.

كما وجهت هيومن رايتس ووتش نداءً إلى مجلس الأمن بإحالة الوضع في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية وتبني عقوبات محددة الهدف بحق المسؤولين المتورطين في الانتهاكات بأدلة مقنعة.

إن المراكز المذكورة في التقرير هي تلك التي اتفق عدة شهود على موقعها وقدموا وصفا تفصيليا للتعذيب فيها. والأرجح أن يكون العدد الفعلي لمراكز التعذيب التي تستخدمها أجهزة المخابرات أكثر من ذلك بكثير.

قال أغلب الشهود الذين أجرت هيومن رايتس ووتش مقابلاتها معهم إنهم خضعوا للتعذيب أو شاهدوا تعذيب آخرين أثناء اعتقالهم، حيث استخدم المحققون والحراس والضباط أشكالاً متعددة من أساليب التعذيب تشمل الضرب لمدد طويلة وفي كثير من الأحيان باستخدام أدوات كالعصي والأسلاك وتثبيت المعتقلين في أوضاع مجهدة ومؤلمة لمدد طويلة واستخدام الكهرباء، والإحراق بالحامض (الأسيد)، والاعتداء والإذلال الجنسي، وانتزاع الأظافر، والإعدام الوهمي. كما وثقت هيومن رايتس ووتش في المجمل أكثر من 20 طريقة مختلفة للتعذيب تستخدمها أجهزة الأمن والمخابرات.

في معظم الحالات كان المحتجزون السابقون يخضعون لأكثر من شكل من أشكال التعذيب. فقد وصف محتجز عمره 31 عاماً كان محتجزاً في محافظة إدلب في يونيو / حزيران، وصف لـ هيومن رايتس ووتش كيف عذبته أجهزة المخابرات في سجن إدلب المركزي:

> أرغموني على خلع ثيابي ثم بدأوا في اعتصار أصابعي بالكماشة. وضعوا الدبابيس في أصابعي وصدري وأذني. لم يكن مسموحاً لي أن أنزعها إلا إذا تكلمت. كانت دبابيس الأذن هي الأكثر إيلاماً. واستخدموا سلكين موصولين ببطارية سيارة لصعقي كهربائياً. كما استخدموا آلة الصعق الكهربائي على أعضائي التناسلية مرتين. كنت أظن أنني لن أرى عائلتي مرة أخرى. عذبوني بهذه الطريقة 3 مرات على مدار 3 أيام.

ورغم أن معظم ضحايا التعذيب الذين أجرت هيومن رايتس ووتش معهم المقابلات كانوا رجالا تتراوح أعمارهم بين 18 و35 سنة، إلا أن صفوف الضحايا كانت تضم أيضاً الأطفال والنساء وكبار السن.

تبين أبحاث هيومن رايتس ووتش أن أبشع حالات التعذيب كانت تحدث في مراكز الاعتقال التي تديرها أجهزة المخابرات الرئيسية الأربعة في البلاد، والتي يتم الإشارة إليها إجمالاً بـ"المخابرات":

شعبة المخابرات العسكرية

إدارة الأمن السياسي

إدارة المخابرات العامة

إدارة المخابرات الجوية

يحتفظ كل جهاز من هذه الأجهزة الأربعة بمقرات مركزية في دمشق علاوة على فروع إقليمية ومحلية وعلى مستوى المدن في أنحاء البلاد. وفي كل واحد من هذه الفروع تقريباً توجد مراكز اعتقال متباينة الأحجام.

قام كافة الشهود الذين قابلتهم هيومن رايتس ووتش بوصف ظروف اعتقال تمثل في ذاتها ضرباً من ضروب إساءة المعاملة، بل التعذيب في بعض الحالات. كالاكتظاظ الشديد، وعدم كفاية الطعام، والحرمان الروتيني من المساعدة الطبية الضرورية. وهناك نموذج مصور لزنزانة مكتظة وفقا لوصف أحد المعتقلين السابقين توضح كيف أن الظروف فيها لا ترقى للمعايير القانونية الدولية.

يتحمل الأفراد الذين نفذوا جرائم ضد الإنسانية أو أمروا بها المسؤولية الجنائية الفردية بموجب القانون الدولي، كما يتحملها الرؤساء الذين ارتكب تابعوهم جرائم وكانوا على علم بها أو يجب عليهم أن يعلموا بها وأخفقوا في منعها أو المعاقبة عليها. وتنطبق هذه المسؤولية القيادية ليس فقط على المسؤولين المشرفين على مراكز الاعتقال، بل أيضا على رؤساء أجهزة المخابرات وأعضاء الحكومة، ورأس الدولة الرئيس بشار الأسد.

ولأن سوريا لم تصدق على نظام روما الأساسي المنشئ للمحكمة الجنائية الدولية، فإن المحكمة لا يكون لها اختصاص إلا إذا قام مجلس الأمن بتبني قرار يحيل الوضع في سوريا إلى المحكمة. وسبق لروسيا والصين أن عرقلتا جهود مجلس الأمن للضغط من أجل المحاسبة.

قال أوليه سولفانغ: "إن نطاق تلك السلسلة من مراكز التعذيب ولا إنسانيتها مرعبان حقا. ولا ينبغي لروسيا أن تبسط يدها لحماية الأشخاص المسؤولين عن هذا الأمر".

إضراب واسع يشل أسواق دمشق وحلب

شهدت العاصمة السورية دمشق وحلب والمناطق المحيطة السبت استجابة واسعة لدعوات الإضراب الذي أطلق عليه "إضراب العاصمتين"، احتجاجا على الحملة العسكرية العنيفة التي تتعرض لها بعض مدن وقرى ريف دمشق ومناطق أخرى في سوريا حسب الهيئة العامة للثورة وشهود عيان، الذين أكدوا تعرض محلات عدة للتكسير جراء مشاركتهم في الإضراب.

وأفادت الهيئة العامة للثورة، بأن معظم أسواق دمشق شهدت السبت إضرابا عاما للمحلات التجارية استجابة لدعوات وجهتها قوى الثورة بالإضراب العام يومي السبت والأحد "نصرة للريف الدمشقي" وباقي المدن السورية التي تتعرض لقصف متواصل من قبل الجيش والأمن السوري.

وأوضحت الهيئة، أن الإضراب شمل مناطق دمشق القديمة وأحيائها وأسواق مدحت باشا والحريقة والبزورية وسوق الكهرباء والحلبوني وشارع خالد بن الوليد والشاغور والميدان وكفرسوسة وبرزة وقبر عاتكة والسويقة والموازيني ونهر عيشة ودف الشوك والعسالي والقدم وجوبر والقزاز.

ورداً على ذلك توافدت عناصر الأمن وانتشرت بالسلاح الكامل في معظم الأحياء المضربة، وأجبرت المحلات على فتح أبوابها تحت تهديد السلاح وفق الهيئة العامة التي أكدت توزيع بلاغات استدعاء لأكثر من 25 تاجرا في سوق الكهرباء لمراجعة الأمن نتيجة مشاركتهم في الإضراب.

وقال شهود عيان في دمشق، إن نسبة المشاركة في الإضراب بلغت 100٪ في أحياء العاصمة، فيما تجاوزت نسبته 90٪ في الأسواق الرئيسية إلى حدود الساعة الرابعة من مساء السبت.

وأضافوا في روايات متقاربة أن قوات الأمن أقدمت على تكسير بعض المحال التجارية وإقفال بعضها الآخر، كما استدعي بعض التجار للتحقيق في أقسام الشرطة.

وانضمت معظم مدن الريف الدمشقي لإضراب العاصمة، حيث عم الإضراب مدن قدسيا وببيلا وبيلا وبيت سحم والسيدة زينب والكسوة والتل والذيابية وعربين وسقبا وحرستا والمقيلبة والمليحة وقارة.

وفي المقابل قامت قوات الأمن والشبيحة بالانتشار الكثيف في بعض هذه المناطق وتكسير أقفال المحال التجارية لفك الإضراب في وقت سجلت به بعض الاعتقالات.

من جهتها استجابت أحياء وأسواق حلب التي تعد بمثابة العاصمة الاقتصادية لسوريا، بدورها لدعوات الإضراب.

ونشر نشطاء سوريون مواد مصورة تظهر إغلاقا عاما للمحال التجارية في أحياء حلب الرئيسية، سيما في مساكن هنانو التي لقيت استجابة لدعوات الإضراب تجاوزت 75٪، كما شمل الإضراب محال منطقة الشيخ فارس والهلك والحيدرية.

رانيا .. قصة من سوريا

قبل نحو عام، لم تكن رانيا وهي محامية سورية في السابعة والعشرين من عمرها، تتخيل أنها يمكن أن تكون جزءا من مغامرة محفوفة بالمخاطر قد تقودها إلى الاعتقال بل ربما إلى القتل، بسبب دعمها للمشاركين في الانتفاضة داخل بلادها، وقيامها مع نسوة أخريات بعمليات سرية لإيصال الغذاء والدواء إلى المدن المحاصرة من قبل قوات النظام.

وتذكر رانيا كيف أنها واجهت موقفا صعبا حينما سقط من طيات ملابسها في نقطة تفتيش للجيش السوري الأسبرين والكحول الطبي اللذان حاولت جاهدة من خلال ارتدائها زيا فضفاضا إخفاءهما عن الجنود.

تسمرت رانيا في مكانها ونظرت إلى سلعها المهربة على الأرض أولا ثم إلى الجندي الذي نظر مباشرة إلى عينيها.

مساعدة الإرهابيين

كانت رانيا تعرف أن تهريب الغذاء والدواء إلى نشطاء المعارضة السورية هو أمر تضع قوات الأمن صاحبه تحت طائلة تهمة "مساعدة الإرهابيين" وتتم معاقبته بقسوة مثلما يحدث مع مهربي السلاح.

وقالت - وهي تتذكر تلك الحادثة التي وقعت على مشارف العاصمة السورية دمشق - "قلت لنفسي انتهى الأمر سيقتلونني".

لكن رانيا كانت محظوظة حيث تعاطف معها الجندي الذي قال لها "أسرعي اجمعي الأدوية الخاصة بك وانصرفي قبل أن يعود قائدي".

رانيا وصديقاتها مجموعة من النساء السوريات الليبراليات اللائي يتعمدن ارتداء الحجاب والملابس الفضفاضة لإخفاء الدواء والغذاء والمال وتهريبها من دمشق إلى مدينة حمص المحاصرة.

وتعمل رانيا وهي محامية في فريق من أربع نساء من مدينة حمص بينهن صديقتان تعملان في متجر والرابعة طبيبة.

وقالت رانيا - التي لم تفصح عن اسمها بالكامل خوفا من تعريض جهودها للخطر - متحدثة عن بداية مهمتهن لإيصال المؤن والأدوية للثوار "التقينا أنا والبنات بطبيب وهو صديق من أيام الطفولة وسألناه عن طريقة لمساعدة من يصابون أو من هم بحاجة للغذاء.. وقام الفريق بتأجير شقة كبيرة في منطقة فقيرة وتركنا أعمالنا باستثناء الطبيبة التي تعمل أربع مرات في الأسبوع".

وقالت صديقة أخرى لرانيا تدعى علا "بعنا كل ما أمكننا بيعه حتى مجوهراتنا.. قمنا بتخزين الأرز والسكر والمكرونة وزيت الطعام في الشقة.. تستخدم الطبيبة مصادرها للحصول على مضادات للالتهاب وضمادات وعلاج للصدمة".

تأهب دائم

ويأكل النسوة الأربع مرتين في اليوم توفيرا للمال ونادرا ما يجرين اتصالات هاتفية ولا يغادرن الشقة إلا للضرورة ويعملن أثناء الليل. وعندما تقوم ناشطات أخريات بزيارتهن يطلب الفريق منهن إحضار طعامهن معهن لتوفير النفقات.

وقالت صديقة رانيا التي طلبت عدم الكشف عن هويتها "التهريب مكلف.. أنت بحاجة إلى سائق أجرة يوافق على عبور كل نقاط التفتيش للخروج من دمشق والسير مسافة ساعتين إلى حمص.. إنه أمر خطير بالنسبة له أيضا".

تبدأ العمليات في الشقة حيث تقوم النساء الأربع بإخفاء الأدوية والضمادات الطبية في طيات الملابس الفضفاضة، وتقول إحداهن "أنا نحيلة لذا يمكنني أن أهرب الكثير من الشاش الطبي تحت ملابسي".

ويسافر الأربع اللائي يخفين المضادات الحيوية في طيات ملابسهن بمفردهن في سيارة أجرة خاصة أو حافلة ويتوجهن شمالا صوب مدينة حمص. وتؤكد إحداهن "تعرف الحكومة كل شيء لكنها لا تريد المزيد من المتاعب.. اعتقل أفراد أمن في دوما (ضاحية بدمشق) بعض النساء وسبب الأمر قدرا كبيرا من العصيان المدني".

وتضيف "أحيانا نعتقل في نقاط التفتيش فإما أن ندفع رشوة أو ننتظر لنرى ماذا سيحدث لنا وبعض نقاط التفتيش يحرسها مسلحون مؤيدون للأسد ليسوا في الجيش النظامي".

وتابعت "أسوأ حادث بالنسبة لي وقع عندما كان من المقرر أن ألتقي مع ناشط آخر لإعطائه بعض أكياس الدم والمال والغذاء.. انتظرت في المطر لكن الناشط لم يأت.. كان الوقت متأخرا واضطررت إلى ترك الطعام على جانب الطريق لأن خطر العودة به عبر نقاط التفتيش كان كبيرا للغاية.. عدت إلى البيت وأنا أبكي حيث ضاعت الرحلة هباء".

المصدر: رويترز

أوجـــاع وطـــن

من ذاكرة الدّم .. مجازر دوما وزملكا

حتى لا ننسى ويأكُلنا الصَدأ

■ منى النوّاب

لا يمكن أن نتحدثّ اليوم عن هذا الوطن لنقول «هنا سوريا» دون أن تكون مقترنة بالموت ورائحة الدم وآلاف الشهداء وكلّ ذلك السواد.. وانّ المذابح والمجازر باتت لدى السوريينّ كالخبز اليوميّ لا يغيب عنهم كأنّه عادة يوميّة تحمل معها مشروع شهيد كان كل ما يدعو إليه.. أن يكون إنساناً على أرضه بعد عُمُر من تكميم الأفواه وسلب الحريّات ليدفع ما تبقّى منه ليموت حرّاً مدافعاً عن حقّه في البقاء.. كل شارع من شوارع دمشق وكلّ محافظة تروي لك قصص من استشهدوا مدافعين عن القضيّة ليُنيروا لك طريقاً تُكملها، كي تكون جديراً بما قدّموا في سبيل حريّتك.. لا تخُن ولا تُغادر.. من حقّ هذه الأرض عليك أن تنزرع فيها كما السنديان.. لا حقّ لك إن لم تقتلعه من عين الغاصب بنفسك..

وكي لا ننسى من رحلوا..

مجزرة دوما يوم ٢٨ / ٦

لا تقلّ وحشيّة عن المجازر الأخرى.. دوما التّي أصبحت مقبرة جماعيّة.. «دوما» عروس جديدة يزفها الوطن لتزرع في رحم الأرض 49 شهيدا لا تسأل فيه عن لونه أو طائفته أو جنسه.. لا شيء إلا أنهم جميعا سوريّون أحرار جمعهم فوق الأرض حبّها وإليها عادوا ليشتموّا ثمن الحريّة المقدّم إليك لتستمرّ لا لتتراجع..

دوما بعد أن صمدت طويلا أمام القصف العشوائي الذي تواصل لساعات طويلة بقذائف الهاون والمدفعيّة والدبابات من قبل قوات الأسد وشبيحته بحق الأهالي العُزّل الذي أدى إلى تهدّم منازلها واحتراق بعض منها بالكامل إضافة إلى كل الانفجارات المتواصلة التّي تطلق على أيّ شيء يتحرّك عشوائيا، ونهب المنازل وسرقة أرزاق الناس، وترهيبهم وزرع الرعب في كل بيت، ولم تكتفي هذه العصابات الإجراميّة بإلحاق كل هذا الضرر بالمدينة وأهلها بل وعلاوة عن كل هذا قامت بإعدام عائلة كاملة مؤلفة من عشرة أشخاص إعداماً ميدانيّاً إضافة لتسعة آخرين تم إطلاق النار عليهم ثم ذبحهم بالسكين، وكان من بين الشهداء 8 أطفال اغتيلت طفولتهم وبقيت أرواحهم معلقة تنتظر القصاص من السفّاح الذي لازال ينشر الموت ويوزّعه مجانا، وتستنجد كل الضمائر التّي لازلت في غفلة وتدّعي أنّ هذه الثورة وهم..

عفوا هل كلّ من ماتوا كانوا يمثّلون مسرحيّة؟؟؟

«دوما» اليوم هدوء مميت.. ميّتة لا حياة فيها..

لا ميدانيّاً ولا معيشيّاً.. لا موارد غذائية أو طبية.. لا شيء غير الدم ورائحته التّي لن تزول مادام في هذه الأرض حقّ يُسلب وحياة تُغتصبْ..

لم يستوعب بعد الشارع السوري ما حصل في دوما من إجرام في حقّ إنسانيتهم كمواطنين، حتّى أضيفت إليهم فاجعة أخرى مسكت الجرح في قلوبهم وأطبقتْ عليه وأصبح مهدّدا بالتعفن ليكون قابلا للاستئصال بعد كل ما تحمّله من ألم...

مجزرة «زملكا» بريف دمشق ..

كانت مباشرة بعد مجزرة دوما بيومين 30 / 6 / 2012، التي حدثت إثر تشييع جثمان الشهيد «عبد الهادي الحلبي» الذي قتل على يد عصابات الأسد عند إطلاقهم النار عشوائيّاً على المارّة، ولكن عند التشييع كانت الفاجعة حيث أنّه إلى جانب هذا الشهيد الذي قتلوه حيّا وقتلوه ميّتاً سقط 80 شهيدا وأكثر من 150 جريح من المُشيّعين جرّاء تفجير سيّارة مُفخّخة، فكان الوضع والموقف صدمة لكل من حضر المجزرة، ولمن لم يكن شاهد عيان على مشهد الجثث والأشلاء المنتشرة في كل مكان والجثث المحروقة بالكامل، ولم تكتفي بذلك عصابات الغدر، بل بدأت بحصار المدينة وقتلت أحد الأطباء الذي كان في طريقه لإنقاذ المصابين..

هذه لن تكون الفاجعة الأخيرة، ما داموا من يدّعون أنهم أهل هذه الأرض وأصحاب الحقّ، فيها يُزايدون عليها ويبيعون دم أبنائهم ليشتروا لأنفسهم الذل لقد حجزوا منذ الآن مكانا يتّسع لهم جميعا في مزبلة التاريخ..

يجب أن يُدرك كلّ حرّ حقيقة أن الحريّة أكبر من أن نخاف أن نهَبَ أرواحنا فداء لبقاءها وأنّ الباطل زاهق لا محالة وأنّ كل من ذهب لا يُنسى فلا تهربوا خشية الموت أو التعذيب.. كل من سَبقكم ناضل حتى الرمق الأخير على أرض هذا الوطن ودُفنَ فيه شامخاً راضياً حرّاً وأورثكم تمسكه بها، فلا تتركوا ما أورثتم ليعيث فيها المغتصب فساداً.. فالأرض تورّث كاللغة، هي لكم فكونوا لها كما يجب لأنّها لا تستحقّ منكم الخذلان...

«لن يكون لدينا ما نحيا من أجله.. إن لم نكن على استعداد أن نموت من أجله».

(مربكة صور الموتى

و مربكة أكثر صور الشّهداء.. موجعة دائماً..

فجأة يصبحون أكثر حزناً وأكثر غموضاً من صورتهم..

فجأة.. يصبحون أجمل بلغزهم، ونصبح أبشع منهم..

فجأة.. نخاف أن نطيل النظر إليهم..

فجأة.. نخاف من صورنا القادمة ونحن نتأمّلهم)..

من ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي

المنسيون في السجون السورية منذ عقود

بدون محامين أو محاكمات عادلة، ودون أن يعرفوا مصيرهم، يقبع سجناء سياسيون في السجون السورية منذ سنوات طويلة. وكان قرابة 1500 منهم قد تم ترحيلهم من سجن صيدنايا في شهر يوليو/ تموز الماضي إلى سجون أخرى، ولا يزال النظام مصرا على إنكار وجودهم.

وكانت السلطات السورية قد تحايلت على المراقبين العرب فحالت دون لقائهم للسجناء أثناء زيارتهم للسجون، كما أعطى أحد الذين أطلق سراحهم بطاقة تزعم أنه محكوم بالسجن المؤبد (25 سنة)، رغم أن مدة اعتقاله تجاوزت ذلك، ولم يسمح للجنة المراقبين بمقابلته.

رفاق السجن

طارق الغوراني اعتقل في منتصف العقد الماضي لأكثر من خمسة أعوام بسبب نشاطه المعارض على شبكة الإنترنت، وقد خرج بذاكرة تعج بقصص مؤلمة، وتحدث للجزيرة نت عن حكايات زملائه الذين ما زالوا يعيشون خوفا مستمرا من الموت.

ويقول الغوراني (31 عاما) إن زميله يعقوب قضى خمسة أعوام في زنزانة انفرادية بسجن المزة منتظرا إعدامه كل يوم، إذ كان يشاهد الإعدامات من ثقب بالباب ويسمع كيف تكسر الرقاب منتظرا دوره.

أما السجين الأقدم رغيد أحمد الططري فما زال معتقلا منذ عام 1981، وقد نقل مؤخرا إلى سجن عدرا، وكان طيارا عسكريا قبل اندلاع ظاهرة هروب الطيارين في الثمانينيات، فاعتقل لمجرد الاشتباه في علاقته بهروب طائرتين إلى الأردن.

ومن أغرب القصص - التي رواها الغوراني - قصة اعتقال الفارس محمد عدنان قصار بسبب سباق خيل تغلب فيه على باسل الأسد - الابن الأكبر لحافظ الأسد - عام 1993، وعندما توفي باسل بحادث سيارة في العام التالي نال قصار نصيبا أكبر من التعذيب في سجن تدمر.

ويقول الغوراني إن قصار كان إحدى الودائع التي تركها باسل الأسد في السجن، وبما أن الأخير توفي فقد تعقدت قضيته، كما حدث مع آخرين أودعهم الأسد الأب وأصبحوا منسيين في السجون بعد وفاته.

ومن المنسيين أيضا وليد أيوب بركات المعتقل منذ 1982، وهو من مواليد القدس. ويقول الغوراني إنه كان مسافرا على متن طائرة متوجهة إلى بيروت فهبطت الطائرة اضطراريا في دمشق بسبب الحرب الأهلية اللبنانية، وقبض عليه ليودع في السجن.

ويذكر الغوراني أيضا الفلسطيني بشار سعيد المعتقل منذ عام 1985، وهو من أبناء جنين الذين انتقلوا إلى سوريا للتعاون مع فصائل المقاومة، لكن خلافه مع الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين / القيادة العامة أحمد جبريل تسبب في سجنه ومحاكمته ميدانيا، حسب قوله.

محاكمات ميدانية

ويشترك حوالي 1400 سجين في سوء ظروفهم وتعرضهم للتعذيب، ويقول الغوراني إن الكثير منهم توفوا لأنهم لم يسعفوا أو لم يجدوا ما يكفيهم من الماء.

وتقتصر المحاكمات الميدانية على وقوف السجين لثوان أمام القاضي الذي يقرأ اسمه ويلحقه بشتيمة، ثم ينصرف دون أن يعرف السجين شيئا عن قضيته أو مدة محكوميته، ليعيش على أمل الإفراج عنه كل خمس سنوات.

ويذكر الغوراني أن "الجنرالين سليمان الخطيب وحسن قعقاع من الفرقة التاسعة قاما بمحاكمة هؤلاء، وأعدما الآلاف في سجن تدمر خلال الثمانينيات"، ويطالب بمحاكمات عادلة قائمة على أدلة وقرائن بدلا من الاشتباه.

ويرى أن الإبقاء على هؤلاء المعتقلين سنوات طويلة مرتبط بالتغطية على ملف السجناء الذين أعدموا في المحاكمات الميدانية بسجن تدمر ولم يتم تسجيل وفياتهم في السجل المدني، كما لا يعرف ذووهم ما إن كانوا على قيد الحياة، لذا فإن الإبقاء على البعض منسيا في السجون يترك الباب مفتوحا على كل الاحتمالات.

ويختتم الغوراني حديثه بمناشدة منظمات حقوق الإنسان لدعم قضايا هؤلاء المغيبين منذ سنوات طويلة، والكشف عن مصير آلاف السجناء الذين أعدموا، فمن حق ذويهم أن يتأكدوا من وفياتهم بدلا من تعليق حياتهم على آمال كاذبة لعقود طويلة.

ويشار إلى أن محكمة أمن الدولة هي محكمة استثنائية ذات جلسات سرية، وتعد أحكامها مبرمة وغير قابلة للاستئناف، وكانت قد ألغيت بعيد اندلاع الثورة السورية مع إلغاء حالة الطوارئ. ويؤكد حقوقيون أن المحاكمات الميدانية لا تزال مستمرة في سوريا وعلى نحو أسوأ من ذي قبل.

المصدر: الجزيرة نت

أنان: سوريا الخاسر الوحيد من «المنافسة الهدامة» بين روسيا والقوى الغربية

دعا المبعوث المشترك للأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، كوفي أنان، لوقف الاتهامات المتبادلة بين روسيا والقوى الغربية بشأن سوريا، معتبرا أن "سوريا هي الخاسر الوحيد في هذه المنافسة الهدامة".

وحذر "أنان" في مقابلة أجرتها معه صحيفة «جارديان» البريطانية، من مغبة اندلاع "حرب أهلية" في سوريا ومن خطر امتداد النزاع الدائر إلى الدول المجاورة لها، وذلك في حال عدم إنهاء "المنافسة الهدامة" بين روسيا والغرب والدول العربية، لفرض وقف لإطلاق النار والبدء في عملية الانتقال السياسي.

ودعا "أنان" إلى وضع حد لتبادل الاتهامات بين القوى الدولية، مؤكدا أنه على الرغم من الاختلافات في وجهات النظر حول تسوية الأزمة السورية في مؤتمر جنيف الأخير، إلا أن الإجماع على خطوة الانتقال السياسي في سوريا تعد بمثابة انجاز لا ينبغي تبديده.

وتابع المبعوث المشترك للأمم المتحدة، والجامعة العربية، قائلا: "نحاول تنفيذ بعض القرارات التي اتخذت في مؤتمر جنيف"، معتبرا أن القرارات القابلة للتنفيذ على أرض الواقع هي القرارات الأكثر فعالية لوقف أعمال العنف المندلعة في سوريا، والضغط على أطراف الصراع للبدء في عملية الانتقال السياسي.

وأعرب "أنان" عن تفهمه لرد فعل المعارضة السورية، قائلا: "ربما لو كنت مكانهم لكنت قد فعلت الشيء نفسه، أو ربما أكثر وذلك لأنهم لم يحصلوا على كل مطالبهم، غير أن ذلك لا يعني أنهم لم يحصلوا على أي مطلب من مطالبهم".

وكانت المعارضة السورية، قد قالت في وقت سابق، إنها أصيبت بخيبة أمل إزاء نتائج مؤتمر "أصدقاء سوريا"، موضحة أنها "بحاجة لما هو أكثر من الوعود".

أغلبية سوريا الصامتة تفضل العزلة

كتبت صحيفة فايننشال تايمز البريطانية أن الأغلبية الصامتة في سوريا تفضل العيش في حالة من نكران الذات وكأن الوضع على ما يرام وليس هناك اضطرابات في البلد حيث الرقص والألعاب النارية في أحد النوادي الليلية في فندق شيراتون بالعاصمة دمشق.

وهذا ما تؤكده بتعجب امرأة شابة بأن "الحياة حلوة في دمشق" رافضة فكرة أن بلدها في حالة فوضى. وتتساءل "أين الثورة؟ ليس هناك ثورة. هؤلاء مجانين".

وأشارت الصحيفة إلى أن التفكير العاطفي لهذه المرأة ليس بهذه الدرجة الكبيرة من الغرابة في دمشق هذه الأيام. فمع بداية تسجيل أصوات الناخبين في الانتخابات البرلمانية أمس - التي رفضها خصوم الرئيس بشار الأسد معتبرين إياها خدعة - هناك مزيج من الخوف والارتباك والرضا يوجه بعض السوريين بعيدا عن الصراع الدموي الذي عم البلاد وتجاوز السنة ويحولهم إلى حالة من نكران الذات.

ومع وابل المعلومات المتضاربة من كلا الجانبين بدأ هؤلاء الناس يشكون في أن القصة الكاملة لا تصل إلى سمعهم ويشعرون أن الخيار الآمن هو التقهقر بعيدا عن الواقع وترك القتال يستمر حولهم. وأفراد هذه الأغلبية الصامتة التي يتعذر حصرها من السوريين الذين هم لا متعصبين للنظام ولا معارضين له على طول الخط يظلون على صمتهم في الوقت الحاضر، حتى إذا كانوا في قرارة أنفسهم يريدون أن يعرفوا المزيد.

عواصف رعدية

ويقول محللون إن الانتخابات الأخيرة - مثل الاستفتاء على دستور جديد في فبراير / شباط - جزء من خدعة أكبر تحاول الحكومة نسجها بأن الصراع السوري جاهز لحل سياسي. وبينما يظل مركزا مدينتي دمشق وحلب هادئين عموما هناك المزيد من التقارير الواردة من مناطق المعارضة بأن أعداد القتلى تجاوزت التسعة آلاف.

ومن مظاهر تراجع بعض سكان دمشق وانكفائهم على ذواتهم أن البعض منهم تخيل أصوات القنابل على أنها عواصف رعدية وما زالت جماهير غفيرة ترتاد المتنزهات العامة في أنحاء المدينة، حتى مع الانفجارات في الضواحي المجاورة.

وعلق أحد سكان العاصمة على هذا الأمر بقوله "لا أستطيع فهم دمشق أو أهلها وسلوكهم مع هذا التقتيل للسوريين على مسافة نصف ساعة من وسط المدينة. فالناس في دمشق إما أنهم ما زالوا في حالة من نكران الذات أو أنهم يريدون بذل غاية وسعهم للاستفادة من وقتهم قبل أن تأتي الساعة التي لا يستطيعون عندها مغادرة بيوتهم".

وأشارت الصحيفة إلى أن الدمشقيين لديهم أمل قليل في الحصول على أي تقارير موثوقة عن ما يجري حولهم مما تتناقله الإذاعات والصحف، وليس فقط لأنهم يؤيدون النظام تأييدا ساحقا. فخلال زيارات لمناطق الاحتجاجات مع المراقبين الأمميين الشهر الماضي تخلف صحفيون سوريون عن دخول أحياء المعارضة بسبب عدوانية السكان المحليين الذين نعتوا الإعلام السوري في إحدى المرات بالكذب.

وختمت الصحيفة بأنه نظرا لحرمانهم من المعلومات التفصيلية وتلقيهم بدلا من ذلك تحذيرات غامضة ومشؤومة عن الفوضى القادمة إذا ما كُتب النجاح للانتفاضة، فلا عجب أن ترى الناس الذين ليسوا بالضرورة أنصار النظام إما أنهم يتأرجحون وراءه أو يحتفظون لأنفسهم بخط رجعة محايد.

المصدر: فايننشال تايمز

فيسك: الغرب سينسى مذبحة الحولة

استهل روبرت فيسك مقالته في صحيفة إندبندنت البريطانية عن الشأن السوري بأن الغرب مرتاع من ذبح الأطفال الآن، لكنه سرعان ما سينساهم. وسينجو الرئيس بشار الأسد بفعلته في مجزرة الحولة كما نجا من درعا وحمص. وبالتالي ستنجو المعارضة المسلحة بالإضافة إلى تنظيم القاعدة وأي جماعات أخرى تنضم إلى المأساة في سوريا. وقد تكون هذه هي اللحظة الحاسمة، نقطة اللاعودة، للهول عندما يصير انهيار البعث حتميا وليس محتملا. وحينها قد يرتاع وزير الخارجية البريطاني السيد هيغ، والأمم المتحدة أيضا.

وأشار فيسك إلى أن الشرق الأوسط مليء بمئات "الدُولات"، حيث أعداد الأطفال القتلى تفوق الحصر. وتساءل ماذا لو أن جنود الأسد تركوا مليشياتهم تقوم بهذا العمل القذر؟ واستشهد بأحداث مماثلة قال إنها قامت بها جبهة التحرير الوطني في الجزائر في التسعينيات وأسفرت عن مقتل 200 ألف نفس، مقارنة بعشرة آلاف في الحرب السورية حتى الآن. وما فعله الموالون للقذافي في ليبيا، وبلطجية مبارك في مصر ضد المعارضين لنظامه، وما قامت به إسرائيل باستخدامها عملاء الكتائب اللبنانية لإرهاب وقتل خصوم لبنان. كل هذا كان حكما من خلال القتل.

وأعاد إلى الذاكرة سعي (النظام) الجزائري الحثيث في التسعينيات -في مواجهة العصيان المسلح- بحثا عن دول يمكن أن تقدم له المشورة حول هذا الوضع، واختاروا حافظ الأسد وأرسلوا وفدا عسكريا إلى دمشق ليتعلم كيف دمر النظام السوري حماة عام 1982. والآن الأميركيون - الذين كانوا قبل ستة أشهر يصفون بشار الأسد بأنه رجل ميت يمشي- يفضلون نهاية للحرب السورية على الطريقة اليمنية، كما لو أن أزمة اليمن لم تكن دموية بما فيه الكفاية. لكن استبدال الأسد بسفاح من نفس العينة (حل صنعاء) ليس هو ما سيقبل به السوريون.

وقال فيسك إن ما يحدث في سوريا حرب أهلية، وقد تكون الحولة هي نقطة التحول التي تشهد عليها الأمم المتحدة. لكن حزب البعث له جذور أعمق من الدماء، وسل أي لبناني عن ذلك. وقال إننا في الغرب سرعان ما سننسى الحولة عندما نرى مشهدا آخر للموت على شاشاتنا من الريف السوري أو من اليمن أو من الثورة القادمة.

المصـــالحة الوطـــنية

قـدر السـوريين .. لا خيـارهم

■ ياسر مرزوق

عقـدت العـزم على كتابة ملـف اليوم على أنه موضوعٌ قانوني بحت أقرته الأمم المتمدنة وحددت آلياته "المصالحة الوطنية" "وبينمـا أجمع المادة العلميـة لملفنا، تنهمر مشاهد الموت عبر الفضائيات، والسوريون يحرقون المعتصم وأبا تمام وملاحم العرب كلها على فوهة رشاش وأمام جُبن قناص، وليس ثمة قبرٌ يتسـع لأجسادهم ليلتهمها ويسكتها، يغيبها مرةً واحدةً إلى الأبد، نكتم الصـراخ لكنـه يصـدح ضمن أجسـادنا ولا نسـتطيع الفرار منه، يصرخ في الشـرايين بأن للمذلـة ألف وجه وأما المـوت فله وجهٌ واحـد وقـد اختـار السـوريون المـوت بدلاً عن المذلـة، ألوان مـن الظلم تتـراءى من كل جانـب، كما لو أنها صـور المعذبين في جحيم "دانتي"، والمجتمع الدولي أممٌ تتقن صناعة بيـع الوهم وتنـزل بالوهم لتحوله إلى جرعات تخدير يذهب بالوعي وبالعقل، تأتي القمم وتذهب لتترك خيبةً وموعداً مع المجهول..

توصلـت سـريعاً لقناعـة مفادها أن ملفنا اليوم إنسـاني بجدارة، هل الإنسـان مـلاك أم شـيطان.. إن اللّه ماصـاغ طينته وسـوى نباتـه إلا وقـد أودع فـي تركيبه ما شـاء من كل شـيء فـي الخير والشـر، من الفضيلـة والرذيلة، من الرحمة والقسـوة، من الجبروت والمسـكنة خلقه إنساناً، على أن المشكلة أن القضية لكل إنسانٍ نسبية، لا لأن الشـر مكمـلٌ للخير وشـرطٌ له ولولا هـذا ما وجـد ذاك، لكـن لأن الحيـاة صراعٌ لا نهائـي بيـن آلاف المشـاعر الإنسـانية، والنـاس إنما يحكمون من الزاوية التي منها ينظـرون، تتوائـب الجـن مـن عيونهم إن أبصروا المصلوبين ظلماً على الطرقات في حين يتشفى آخرون ويرقصون حول الجثث المـدلاة، ويرتجف بعضهم للنفاق أو للظلم أو للخيانة ويعظون ويصلون ويرى بعضهم فـي ذلك كلـه ملـح الأرض، وتقدس الأمم محرريهـا وتبنـي لهـم هياكل المجـد فيما ترى أممٌ أخرى أنهم ثوار خونة يسـتحقون الإعدام.. حتى أبطال الحروب تضج الطبول أمامهم وتخفـق الأعلام والمباخر في جانب من الأرض، في حين تهطل اللعنات عليهمْ مطراً في جانبٍ آخر..

إنها نسبيةُ الأحكام والقوانين فما هو خطأ الآن أو هنا هو الحسن كله بعد حين أو في مكانٍ آخر، والظلم السياسـي لا يطفئ نجمة الفجر فقط بل هو الذي يحيل الناس والجماهيـر أبراجاً من ملـح وأفواها تصيح، قـال عنهـا "أحمـد شـوقي" في مسـرحية "كليوبتـرا": انظري الشـعب "دمّون".. كيف يوحون إليه.. ملأ الجو هتافاً.. بحياة قاتليه.. يا له من ببغاء.. عقله في أذنيه..

مشـاهدٌ من القتل والدمار وشـعارات طائفية بـدأت تظهـر في المظاهـرات ولو بخفـر، ولم يعـد القاتـل وحيداً، بـل ظهر شركاء في القتل، فيعترينـي جدلٌ لا ينتهي، حول الدفاع المشـروع عن النفس وأحسـم الجدل بأن نظرية الدفاع المشـروع تسقط إذا تعدى الفعل الدفاع للهجوم، وهنا لسـت بصـدد المزاودة على الشـرفاء في الخنادق وتحـت القصـف، هـي طريـقٌ انتهجوهـا والاختـلاف علـى الطريـق لا ينفـي وحـدة الهدف، أصبحنا نعيش زمـن الحرب، وأذكر المقطع الذي اسـتهل به ربيـع جابر روايته "الاعترافـات": "أبـي كان يخطـف النـاس ويقتلهـم. أخـي يقول إنـه رأى أبي يتحول في الحرب من شخص يعرفه إلى شخص لا يعرفه".. أمام شرخ اجتماعيٍ أضحى صَدعاً أثرت الكف عـن جمْع المادة العلمية، لأهرب للتاريـخ وهي عـادةً أتقنتها فـي الهرب من الحاضـر إلى الماضي، ففـي حالات البؤس، ومـا إن أجـد الرفـض والعجـز ينـداح فـي أعماقي كالغثيـان حتى أفتح النافذة وأهرب إلى اللاّ زمن.

مشـهد: العرب في الجزيـرة يقتتلون وتزهـق آلاف الأرواح لأن فرسـاً سـبقت أو ناقةً عُقرت.

مشـهد: باريـس 1572 ليلـة الرعـب وفتـاة مـن الكاثوليـك تحاول شـد وشـاح أبيض "علامة الكاثوليك" على ذراع حبيبها البروتسـتانتي في يوم المذبحة لتنقذه من الموت ولكنه يسـحبه ويبعده برفق بنفس اليد التي يحتضن فيها حبيبته، حروبٌ دينية تعصـف بأوروبـا وتـودي بحيـاة الملايين، والملـك الفرنسـي يصرخ اقتلوهـم.. لكن اقتلوهم جميعا ! لاّ تبقوا على شخص واحد منهم على قيـد الحياة لكي يلومني". يقول المؤرخون أنـه في ليلة الرعب تلك سـقط بيـن 20000 و100000 قتيـل فـي واحـدة من أبشـع المجازر الدموية في التاريخ. لقد امتلـئ نهر السـين بالجثث حتـى أن الناس امتنعت عن أكل السمك لشهور.

مشـهد: بريطانيـا تقمـع الثـورة في إيرلنـدا، قـال كاتـب حوليات ايرلنـدي: "لمْ يسمع صوت خوار بقرة أو صوت رجل يحرث الأرض طـوال هذه السـنة مـن دنجُل حتى صخرة كاشل "1582 عن الحملة التي شنتها بريطانيا لقمع ثورة عشيرة "جيرالدين" في مونستر الايرلندية.

مشـهد: أيهـا الزنجي يـا بائـع التمرد المجهول.. أنت تعـرف طرقات العالم كلها.. منذ أن باعوك في غينيا.. يا أسـود يا رسول الأمـل.. أنـت تعرف جميـع أناشـيد العالم.. لتكتـب بجميـع اللغـات.. فـي الصفحـات الصافيات للسـموات أجمـع.. إعلان حقوقك التـي أنكـرت عليـك.. هـذه المقاطـع من قصيـدة لرائد حـركات تحـرر العبيد "جون براون" المولود عام 1800 في أمريكا كانت تتردد بيـن مزارع القصب وأنات المعذبين.. يـوم كان الرجـل الأبيض وحده سـيد هذا الكون.. وأولئك الذين كانوا يستمعون لمثل هذه الأناشيد في أعماقهم، كانوا يخنقونها كانوا يتمزقـون، من ذا الـذي كان يجرؤ أن يمد يده للأخذ بيد زنجي في القاع..

مشـهد: الحرب العالميـة الأولى تودي بحياة 25 مليون من البشر، وحصيلة الموت في الحـرب العالمية الثانيـة 68 مليون في كافة ميادينها حصة الأوروبيين منها تقارب النصف.

مشهد: الجيش الامبراطوري الياباني، يحرق القرى الصينية بسـاكنيها في الحرب العالمية الثانية.

مشـهد: بدا التذمر واضحـاً على أبناء دمشـق وغيرها من المدن السـورية، جراء ممارسـات بعـض زعمـاء الثورة السـورية الكبـرى، عـن خالـد العظم ومـن مذكراته الجـزء الأول الصفحـة / 160/ ننقـل: "إن مـاكان يقـوم به بعـض زعماء الثـورة من رؤسـاء الأحيـاء مـن خطـف الأثريـاء مـن دورهـم ليلاً لقـاء فديةٍ مالية تتناسـب مع ثـروة المخطـوف، أدى إلـى أن يهـرب مـن دمشـق كل من خاف أن يلقى هذا المصير، فاكتظـت بيـروت باللاجئيـن علـى اختلاف نزعاتهم، فاخترع بعض الزعمـاء طريقةً جديدة لابتزاز الأمـوال، هي تهديد أصحاب الأراضي في الغوطة بقطع أشجارها إذا لم يفتدوهـا بالمبلـغ الذي يفرضونـه عليهم، مـع أن الأموال اللازمة للثـوار فما كان أهل المدينـة يقصرون فـي أدائها تأييـداً لعمل قومي ذي شأن فزالت في عيون الناس تلكَ الهالة القدسية التي كانت الثورة محاطة بها في مطلعهـا.. "وليس العظم هنا في موقع الوقـوف في وجـه الثورة السـورية الكبرى والتي يذكر في نفـس الصفحة آنفة الذكر "إن الثـورة أذكـت الروح الوطنيـة وأظهرت للملأ أن سـوريا لم تخضـع أمام الانتداب إلا بقوة السلاح الغالبة"..

مشاهد عن المذابح التي ارتكبت باسم الثورة الفرنسـية، هي ثـورةٌ أودت بأبنائها للمقصلة تباعاً، فيتانٍ، روبسبير.. والقائمة تطول، عدت مسـرعاً لاهثـاً فزيارتي اليوم للتاريخ لم تكن نزهةً اعتدتها، وفي طريق العودة استعرضت المشاهد التالية

مشـهد: توحدت القبائل العربية تحت راية نظـام قانوني أخلاقي، نـزل وحياً في مكـة، وللغـرب امبراطورية تصـل الصين بالأندلس..

مشهد: قبل أيام قليلة استقبلت ملكة بريطانيـا ولأول مرة في التاريـخ قائداً من الجيش الجمهوري الايرلندي.

مشـهد:الأوروبيون يوقعون "معاهدة روما سنة 1957"، والتي أسست بمقتضاها "المجموعـة الاقتصاديـة الأوربيـة" للعمل على تحقيـق الوحدة الاقتصاديـة. لتتحول السـوق الأوربيـة المشـتركة سـنة 1992 بمقتضى "معاهدة ما ستريخت" إلى "اتحاد أوربي".

مشـهد: خرج الزنـوج مـن قيودهم.. وكبـرت العائلـة الإنسـانية و"أورفيـوس" الزنجـي دخل الجوقة ينشـد ويبني ويبدع.. حتى أن ساكن البيت الأبيض لم يعد أبيض بالضرورة "أوباما"..

مشهد: اليابان هذا العملاق الاقتصادي

اليوم لازال يعيش حالة رعب إنساني من المجازر التي ارتكبتها جيوش الامبراطورية اليابانية بحق الفلاحين الصينيين، كل عام تقدم الحكومة اليابانية منحة بهدف تشجير غابة في الصين تكفيراً عن الغابات والحقول التي أحرقها جيشها يوماً.

مشهد: السوريون يحتفلون بجلاء المستعمر عن أراضيهم، وفي رحلة العودة عبر التاريخ عرجت على جبال اللاذقية وفي ذهني صور لبعض اللافتات المرفوعة في المظاهرات أخيراً، لألتقي الشيخ "صالح العلي" الثائر الأسطورة والمثقف والزعيم العلوي "الشيخ سليمان الأحمد" عضو المجمع العلمي العربي الذي تأسس زمن الملك فيصل، و"عزيز الهواش" الزعيم العلوي أيضاً رأس الحربة في وجه الفرنسيين والمؤسس لإعادة توحيد سوريا وهو الذي عين محافظاً لمدينة دمشق التي كانت مغلقة اجتماعياً شأنها بذلك شأن كل العواصم، ولأرى الطبيب "وهيب غانم" سائراً على قدميه من عيادته في اللاذقية إلى التلال المجاورة جالباً معه الدواء للقرويين دون سؤالهم عن طائفتهم..

عدت للكتابة بقناعة تامة بأن المصالحة الوطنية قدر، وهي مع وجود الإرادة ستضحي تجربة تدرس في القانون الدولي ويحضرني قول المفكر الفرنسي القومي "أرنست رينان" إن الأمم تبنى على ذاكرات أو ذكريات مشتركة بقدر ما تبنى على نسوات أو نسيانات مشتركة، هناك مجازر وأهوال يجب أن ننساها مجتمعين، ننساها بالاعتراف أنها حصلت لا بإنكار حصولها وطبعاً ليس بمكافأة مرتكبيها، وقطعاً ليس بالعفو عنهم، وليس بالعفو عن البعض ومحاكمة الآخر، ننسى جميع الأهوال والمجازر والجرائم معاً، ولا ينسى فريق الجرائم التي ارتكبها هو في حق الآخر فقط، بل ينسى أيضاً ما ارتكبه الآخر في حقه من الجرائم، هكذا نتصالح مع أنفسنا مقدمة لأن نتصالح مع الآخر.. تتذكر لننسى، ننسى المجازر لنتذكر الدروس..

ولنعي جميعاً أن الديمقراطية كلها والشعر أجمعه والفلسفة بأسرها إنما تنطلق من حقيقة واحدة أننا ميتون لا محالة واليوم أتأمل ديمقراطية الموت، فحين تمر النسور ذات المخالب النحاسية بحسب الأسطورة الاغريقية وتلفظ كتل اللهب على "دير الزور" وأخواتها، لا يميز اللهب بين موال ومعارض الجميع سواسية في حضرة المَوت.. لتصح مقولة "ضرير المعرة": خفف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد.

عن "ادوار حشوة" ومن كتابه "المضحك المبكي" صفحة / 33/ أنقل: أثناء الأحداث الأمنية عام 1980-1982 والتي استهدف فيها الإخوان المسلمون، وبينما أحد الفرق الأمنية تفتش حي الورشة في حمص، قالت لهم صاحبة المنزل: لماذا تفتشون بيوتنا نحن مسيحيون، قال الضابط: عندنا أوامر بالتفتيش، الدين لله والقتل للجميع"..

المصالحة الوطنية

حين يعي السوريون دروس التاريخ يضحي الحديث عن المصالحة الوطنية من طبائع الأمور والمصالحة هي السعي المشترك نحو إلغاء عوائق الماضي واستمراريتها السياسية والتشريعية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتصحيح ما ترتب عنها من غبن ومآسي وأخطاء وانتهاكات وجرائم جسيمة، والنظر بتفاؤل إلى المستقبل وذلك من خلال التأسيس في الحاضر للبنات غير مزيفة أو كاذبة للديمقراطية وللمشاركة المتساوية. والمصالحة كمشروع مجتمعي طويل الأمد تعني إنجاز توافق وطني بين مختلف مكونات الإطار الحضاري للمجتمع حول خطة شمولية ومتكاملة محددة، ودقيقة، تسترشد بالمبادئ الأساسية المستخلصة من تجارب فض النزاعات بالطرق الهادئة وتخضع لمضمون القانون الدولي وإجراءاته الملزمة والآمرة.

تشكلت في دول العالم لجانٌ للتحقيق تمهيداً للمصالحة الوطنية في تلك الدول، وبغض النظر عن السلبيات أو الإيجابيات الإخفاقات أو النجاحات التي صادفت عمل حوالي ثلاثين لجنة للحقيقة تم إحداثها في دول من أمريكا اللاتينية، وأوروبا الشرقية، كما في جمهورية جنوب إفريقيا، فإن ولاية معظم هذه اللجان قد تركزت حول خمس إلى ست مهام رئيسية هي نفسها التي طالبت بها المحكمة الأمريكية لحقوق الإنسان سنة 1988 في قضية "فالاسكيز رودريكيز" حول خروقات جسيمة لحقوق الإنسان. وتتمثل هذه المهام في:

- كشف حقيقة الضحايا: أي القيام بتحقيق لمعرفة الحقيقة حول الخروقات التي مست الضحايا.

- كشف حقيقة الجناة: أي إجراء تحقيق يمكن من تعرف مرتكبي انتهاكات حقوق الإنسان، سواء باعتبارهم أفراداً أو مؤسسات أو بنيات رسمية، والتعريف بهم.

- المتابعة القضائية: أي قيام اللجنة بإحالة على القضاء كل الجناة الذين ثبت تورطهم في تلك الانتهاكات، مع إتاحة الفرصة أمام الضحايا أو عائلاتهم أو المدافعين عن حقوق الإنسان من أجل مواجهتهم بإقامة دعاوي مدنية ضدهم ليس فقط داخل البلد، بل وكذلك في المحافل الدولية ذات الصلة.

- جبر الضرر: وقصدت منه المحكمة الأمريكية لحقوق الإنسان أشياء أخرى بالإضافة إلى التعويض المادي للضحية أو لذوي الحقوق ذات الصلة، ويندرج تحت هذا البند التعويض المعنوي.

- الإصلاح المؤسساتي: أي مختلف الإجراءات والتدابير الإدارية والتشريعية والقضائية والإعلامية والتربوية التي تتحمل الدولة وحكوماتها تحقيقها من أجل الوقاية في الحاضر والمستقبل من تكرار حدوث انتهاكات حقوق الإنسان.

- حفظ الذاكرة: أي العمل على توسيع كل المنافذ الممكنة أمام نقاش توافقي، مستمر، وصريح حول مختلف أبعاد الانتهاكات والانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، منطلقة في ذلك من أن حقيقة الماضي لا يملكها إلا الأفراد الذين عاشوها وذلك لسبب بسيط هو أنها حقيقة شخصية، ومن أن الضحايا خصوصاً والعائلات والأقارب عموماً لن تسعفهم الذاكرة الوطنية المشتركة وحدها، باعتبارها ذاكرة ساكنة، في التعافي من كوابيس الماضي المريع ومن مآسي تجارب "الميت الحي" التي قد ترافقهم العمر كله.

- إصلاح المؤسسات: كثيراً ما تحتاج البلدان الخارجة حديثاً من الديكتاتورية إلى تبني إصلاحات تشمل مؤسساتها وقوانينها وسياستها، بهدف تمكين البلاد من تحقيق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية البعيدة المدى، والتي تعتبر ضرورية لتفادي وقوع انهيار حضاري أو ديمقراطي في المستقبل. ففي فترات الصراعات، عادة ما يتم تعليق معايير حقوق الإنسان وإفساد إجراءات العمل الاعتيادية وعقليات وقت السلم في العديد من مؤسسات الدولة، إن لم يكن في مجملها. وعندما ينتهي الاضطراب، فإن الإصلاحات المؤسساتية بشكل عام يكون الهدف منها هو إزالة الشروط التي أدت إلى نشوء فترة النزاع أو القمع، وهناك ثلاث وسائل تمكن من بلوغ هذا الهدف:

1- إعادة هيكلة مؤسسات الدولة التي تواطأت في أعمال العنف أو الانتهاك، وحول موضوع إعادة هيكلة المؤسسات، أذكر أنه في الساعة العاشرة من الثاني من شباط عام 2011 أي ليلة سقوط مبارك أطل الأستاذ "محمد حسنين هيكل" على إحدى الفضائيات، ليجيب على سؤال لمحاورته مفاده هل يجوز الاستعانة بالكفاءات من العصر البائد أياً كان موقعها في النظام الماضي، فيرد هيكل "أريد الكفاءات من البلد كلها دون تمييز، كل من لديه كفاءة دون أن تكون عنده شبهة إساءة، يمكن أن يكون موجوداً.. أنا مهموم بالمستقبل ومعني به أكثر من اهتمامي بالسقوط ما ذهب قد ذهب، ولست معنياً بتسميته بالعصر البائد، ليس هناك من حالة تصنيف، التصنيف على أساس الكفاءة من يقدر على الخدمة بشرط النزاهة أريد كل الكفاءات السياسية موجودة في مجلس الأمناء والدستور"، وكلام هيكل شديد الأهمية فإعادة الهيكلة يجب أن تقصي المجرمين فقط، دون حس انتقامي أو إقصائي، ولعل الجريمة الأكبر في حق بغداد لم يرتكبها "هولاكو" ذائع الصيت بل ارتكبها الحاكم العسكري الأمريكي "بريمر" حين اتخذ قراراً بحل الجيش وقوى الأمن العراقية بعشوائية ودون تمييز، لتنهار الدولة وتصيب العراقيين لعنة وطن يدفعون ضريبتها يومياً.. إن منطق الكفاءة هو ما يجب أن يحكم سوريا الجديدة، ولنتذكر شخصاً مشهوراً في التاريخ وهو "نيكر" وزير المالية زمن "لويس السادس عشر" والذي جاء بعد الثورة الفرنسية ليكون وزيراً لمالية الثورة.

2- إزالة التمييز العرقي أو الإثني أو الجنسي في حال وجوده.

3- منع مرتكبي انتهاكات حقوق الإنسان من الاستمرار في الاستفادة من شغل مناصب في المؤسسات العمومية.

لا خوف من حرب طائفية، قد تظهر صبيحة سقوط النظام بعض حوادث الثأر الشخصي، ولكنها لن تغدوا سلوكاً للجماعة، استحضر قول الرئيس الأمريكي "روزفلت": "ليس هناك ما نخشاه إلا الخوف نفسه"، سوريا الجديدة لجميع السوريين، ولم تمتلك أمة من الأمم تاريخاً ناصعاً منزهاً من اقتتال أو حقد، والفطرة الإنسانية تجبر البشر على الغفران والتعالي عن الحقد والانتقام، ألم يصف الزعيم الوطني الكبير "عبد الرحمن الشهبندر" السعادة بأنها أن نكون منسجمين مع من حولنا".

تذوب الأزمات وتذوب على الأيام ويذهب الجميع في النهاية هباء أو كالهباء إلى ما وراء الغيب لا يتركون وراءهم سوى الذكريات، والظلم باق ما بقي الإنسان والمظلومون باقون كذلك هي طبيعة البشر والظلم حقيقة لا تغيب، لكن القانون والعدل البشري هو الذي يغيب أحياناً واستعادته مسؤولية الأمم الحية..

عهد الاستبداد وأيام الثورة المجيدة ساوت الموالين والمعارضين بالخسارة، باستثناء زمرة منتفعة في الحرب والسلم.. فيا جميع الخاسرين من الحرب أو السلم اتحدوا..

معارضـــــة الثـــــورة

■ خالد كنفاني

لن تكون الثورة السورية الأولى ولا الأخيرة والتي يطول زمنها وتكثر تضحياتها. وهذا ليس تقليلا من شأنها بل على العكس، فإنه تمييز لها كإحدى الثورات التي ستطبع التاريخ العربي بطابعها الخاص، طابع دموي قاس وعسير المنال.

ورغم بعض مظاهر التعاضد التي نراها بين الناس والتي غالباً ما تكشفها الأزمات، نرى على الطرف الآخر خارج الحدود مظاهر التشتت والتقاتل على الكراسي والمناصب الوهمية بين من يدعون حمل هم الثورة ونبض الشارع. يتقاسمون فراء الدب قبل صيده ويختلفون على سفاسف الأمور بينما قطرة دم سورية واحدة تعلو وتشمخ شموخ الجبال.

كم تبقى من عائلات لم تفقد أحداً من أعضائها سواء كان أخاً أو أباً أو ابنة أو زوجة؟ في كل بيت سوري اليوم حكاية خاصة، كبصمات أصابعها لا تتكرر ولا يشبهها أحد. ليس صحيحاً أن مشاعر الأمهات اللواتي فقدن أبناءهن متساوية، لكل واحدة منهن تجربة فريدة وقصة خاصة مع ابنها أو ابنتها، لا تتشابه أم مع أخرى في ذكريات تكوين عائلتها وحصولها على رضيعها وحمله ورعايته حتى يكبر. كل الأمهات يحببن أولادهن ولكن لكل منهن مذهباً في الحب لا يشبهه أحد، ولكل منهن مدرستها الخاصة في خوفها على ابنتها أو ابنها. تجزع الأم إذا جرح ولدها ولو كان بعيداً آلاف الكيلومترات، شيء ما في داخلها يتحرك، وكيف لا؟ ألم يكن جزءاً من أحشائها لتسعة شهور يفرح لفرحها ويحزن لحزنها؟ إن العلاقة بين الأم وأولادها ليست اجتماعية ونفسية فقط، إنها علاقة كيميائية وفيزيائية فريدة التركيب تستعصي على فلاسفة العلم والكيمياء.

لم تكن تلك مداخلة شعرية ولا فاصلاً عاطفياً في حديث مستمر عن الثورة، ولكنه أحد فصول الملحمة السورية المستمرة منذ مئات السنين، حيث بكت آلاف الأمهات وابتسم القليل منهن. كانت الفرحة بتخرج الولد أو البنت من الجامعة تصطدم مباشرة بالمستقبل الغامض المجهول الذي ينتظر كليهما. فلا فرص العمل في البلد موجودة ولا سبيل إلا الهجرة أو العمل لثماني عشرة ساعة يومياً بأجور لا تكفي سد الرمق. كانت الأم تبتسم لتخرّج أولادها ولكنها تبكي في سرها خوفاً على مستقبلهم الضبابي والمشوش.

تنتقل الأمهات اليوم إلى مرحلة أعلى من التضحيات. فالدموع اليوم ترافقها بعض الزغاريد باستشهاد الولد أو البنت، ولم تعد الأم اليوم تخاف على أولادها في مستقبلهم ولكنها تتمزق جزعاً في حاضرهم. فالموت المتربص في كل زاوية من أرجاء الوطن لم يعد يستثني أحداً. هذا الموت الذي تركه عزرائيل لأناس بلا قلب ولا رحمة يتحدون إرادة الإله والبشر معاً خاطفين أرواح من يقف في طريقهم كالإعصار. لم تعد التشبيهات ولا الاستعارات تكفي لوصف اللوحة السورية المطلية بالدم، فقدت اللغة كل مكنوناتها وتراجعت وتهاوت أمام جبروت الطغيان والاستبداد الدامي في كل بقعة من بقاع هذا الوطن.

يتمزق الوطن أشلاء بينما يمانع النظام من السقوط وتمانع المعارضة من الارتقاء. هذا النظام الذي ولد مشوهاً بعين واحدة لا ترى شيئاً إلا وحولته مسخاً وقبحاً لا يزال يقاوم كل محاولات إسقاطه وجذبه إلى الهاوية، وهذا ليس بطولة منه ولكن اجتماع عوامل فشل إسقاطه كثرت بدءاً من "أصدقاء سوريا" مروراً بالبطولات التركية البهلوانية والتصريحات العربية الصاروخية وانتهاء بالتفاني الروسي الصيني منقطع النظير في تحدي الآخرين وإحياء حالة القطبية العالمية لإعادة مجد الستينيات. تنصب روسيا اليوم البوارج أمام السواحل السورية في تذكير بالصواريخ السوفيتية في كوبا عام 1962، فالأزمة آنذاك كانت استعراض العضلات السوفييتية أمام الولايات المتحدة في تنازع واضح حول مناطق النفوذ في العالم. واليوم يعيش الروس حالة من اليقظة القومية على يد بوتين وميدفيديف قد تفسر جزءاً من هذا المخاض السياسي العسير الذي وقف في سوريا. النظام يسقط في سوريا ولكنه يمانع ويقاوم على اعتبار أن هذا ما تعود عليه، ولكنها كانت على الدوام ممانعة ومقاومة لأي مشروع وطني أو حضاري، كانت ممانعة للإنسانية والكرامة البشرية وحقوق المواطنة الطبيعية، وختمها بممانعة ومقاومة حقوق الناس التي قاموا من أجلها ولم يتنازل هو حتى لأن يقول لهم: "فهمتكم". بدلاً من أن يفهمهم قرر أن يُفهمهم (بضم الياء) رؤيته الخاصة للممانعة والمقاومة.

في خضم هذا الغبار الكثيف من المعارك والتضحيات تمانع وتقاوم المعارضة أي محاولة للارتقاء في مقابل لسقوط النظام. لم تستطع هذه المعارضة بكافة رموزها إقناع أي إنسان سواء داخل سوريا أو خارجها بقدرتها على قيادة ولو حتى سيارة. لم يبق فندق أو منتجع في العالم إلا واستضاف مؤتمراً أو ملتقى للمعارضة السورية، حتى أن الأمر تحول إلى مصدر للدخل بالنسبة للكثير من شركات الطيران وحجوزات الفنادق، وقد ترى الابتسامة تعلو وجوههم لمجرد سماع خبر نية المعارضة أو أحد أقطابها أو "أصدقائها" عقد اجتماع ما، حيث يتسابق الجميع لمعرفتهم بالأموال الوفيرة وراء هذه المناسبات. أصبحت الاجتماعات أو المؤتمرات المتعلقة بسوريا واحدة من أهم مصادر السياحة في العالم هذه الأيام فهي تتميز عن المواسم السياحية بأنها غير مرتبطة بالفصول أو الأعياد أو العطل الرسمية، بل هي مستمرة على مدار العام. لم يطل علينا أحد ليخبرنا "من أين لهم هذا؟" ففاعلو الخير على ما يبدو كثر، والمعارضة الوطنية الشريفة تستخدم ذلك كله كوسائل لدعم الثورة والتي من كثرة الدعم لم تعد قادرة على المسير في محيط متلاطم الأمواج من الدماء والخيانات والحصار.

قلنا في مقال سابق أن ما ينتظر سوريا هو النموذج العراقي، وقد أثار ذلك موجة من الاعتراض على اعتبار أن سوريا "مختلفة" عن العراق. ورغم إقرارنا أن هناك بعض الاختلافات من ناحية اللهجة والأكلات المعروفة وبعض العادات والتقاليد! ولكن الفكر ذاته والقمع ذاته. حكم البعث كلاً من سوريا والعراق عشرات السنين وبدلاً من أن يوحّدهما (على اعتبار أن هذا أول شعاراته) جعلهما ألد أعداء، وكان على السوري أن يعتاد بأن يحمل جواز سفره جملة "قومية" هامة مفادها "يسمح له بالسفر إلى كافة الأقطار عدا العراق".

لم تكن إسرائيل أو الامبريالية العالمية مستثناة، فنحن نشتم في العلن ونقبل اليد في السر. أما مع "الأشقاء" فالسيادة الوطنية والكرامة والاستقلال والعنفوان تسبق كل شيء. تجربة البعث في كلا القطرين كانت فاشية وظالمة لأبعد الحدود. كما أن أجهزة الأمن في هذين البلدين كانت تُصنّف على أنها من أعتى أجهزة الأمن على مستوى مجرة درب التبانة كلها. وأخيراً فالتنوع العرقي والطائفي والعشائري والديني والكربوني في سوريا يفوق عشرات المرات ذلك الموجود في العراق وبذور التفريق كامنة في أعماق كل الأطراف ولكنها كانت تزدهر وتذبل وفقاً للمتغيرات السياسية والاقتصادية ولكن من المستحيل نكرانها أو ادعاء أنها طارئة على المجتمع السوري.

إن التنبيه على هذا الأمر يستدعي الأحداث التي صاحبت مؤتمر المعارضة السورية في القاهرة والذي حاول من خلاله نبيل العربي أن يلعب دوراً بطولياً من خلال إظهار مقدرته على جمع كل المعارضة تحت سقف واحد، ولكن يبدو أنه لم ينجح في أكثر من حجز قاعة الفندق وتزويدها بالمرطبات! فهو ينسى حقيقة هامة قالها المرحوم الرئيس شكري القوتلي بأن السوريين "نصفهم يعتقد في نفسه الزعامة والنصف الآخر يعتقد في نفسه النبوة!" كما أنه عندما اعتقد أنه يحاول الوصول إلى ما يشبه اتفاق الطائف اللبناني نسي أن كل من كانوا مجتمعين في القاهرة بلا استثناء (عدا خالد أبو صلاح) لا علاقة لهم بالثورة أو الشعب السوري أو حتى سوريا كلها لا من قريب ولا من بعيد، وأنا أتحمل مسؤولية هذا الكلام. فهم إما طارئون على السياسة والمعارضة حتى أن بعضهم كان من الموظفين السابقين في سوريا، وإما مغتربون منذ سنين طويلة جداً لا تعطيهم الحق (مهما كانت أسباب غربتهم) أن يتكلموا باسم شعب لم يعيشوا معه ولم يعرفوا معاناته ولا أن يتكلموا باسم وطن أصبحوا يشركون معه وطنية أخرى ونسوا شوارعه وجباله وسهوله. إن نبيل العربي (باشكاتب رئيس الوزراء القطري) يقوم بما يمليه عليه التمويل الخليجي الجارف الذي إن نضب فجأة أصبح العربي بلا راتب شهري.

لم يعد أحد مستعداً للسكوت بعد اليوم، كما أن زمن الزعامات والكاريزمات الخلبية قد ولى إلى غير رجعة. الناس اليوم لم يعد لها كبير كما يقول المثل الدارج، وهي لذلك تنتظر أي مسؤول على هفوة، ولا يخرج أحد علينا ليقول: "أنتم فقط تنتقدون وتخوّنون" فقد ولى وأيضاً زمن التخوين لمن ينتقد والقمع لمن يبدي رأيه. إذا لم يتعامل المعارضون مع المسألة الوطنية بالواقعية والجدية المطلوبة، فإنهم سيبقون على حالة الصراخ والاستنجاد هذه سنين طويلة. كل الانتقاد والاستصراخ والشجب والاستنكار لم ينقذ الفلسطينيين طوال سبعين عاماً ولم يخلّص العراقيين طوال أكثر من عشرين عاماً (إحدى عشر منها تحت الحصار الدولي للنظام السابق). والواقعية المطلوبة هنا هي تماماً فهم الحقائق الاجتماعية والسكانية والثقافية في سوريا، ولعل ما حدث في مؤتمر القاهرة يبدي ذلك العجز عن الفهم سواء بعمد أو بغير عمد. ويبدو أن السلطان العثماني لم يكن راضياً عن مسألة الاعتراف بالشعب الكردي وخاصة أنه (أي السلطان) قد صرف الكثير من الأموال على المعارضة في الفنادق والمنتجعات في كافة أرجاء تركيا طوال سنة ونصف ولا يزال، وهو لا يريد من يعارضه كذلك، فمصالحه وتشابكات علاقاته لا تسمح بفتح جبهات جديدة. وعلى هذا الأساس تقوم المعارضة "الوطنية" بإسقاط لواء اسكندرون من كافة خرائطها وتحاول عبر كل المؤتمرات السابقة واللاحقة أن تبتعد عن حمى الأكراد والتركمان (ولاحقاً غيرهم) خشية أن تقع فيه. ولم يكن انتخاب (أو اختيار) عبد الباسط سيدا رئيساً للمجلس الوطني السوري ليذر الرماد في العيون، فالعيون لم تعد تسمح لمن يريد إغلاقها أو التشويش على رؤيتها.

بعيداً عن العواطف والحماسة، المأزق في سوريا صعب جداً ونتائج الحراك الشعبي والعمل الثوري المسلح سوف تبقى غامضة وغير متوقعة حتى بعد سقوط النظام. وتجارب الأمم وأحداث التاريخ تنبئنا بأن المراحل الانتقالية هي من أصعب المراحل في تاريخ أي بلد. ويبدو أننا سنعيش هذه المرحلة الانتقالية بكل أبعادها وعلى مدى زمني لن يكون بالقصير. على الجميع أن يتحضر لما هو قادم، فالتحديات كثيرة والاستعدادات معدومة والكل لا يزال يحلم. الحلم مشروع ولكن الواقع هو ما يحكمنا.

القانون الخاص بالمعوقين في سورية

■ ياسر مرزوق

اعتمد المجتمع الدولي منذ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948 سلسلة من الصكوك الاتفاقية التي تهتم بحماية حقوق الإنسان بصفة عامة أو بفئات معنية من الأشخاص كالمرأة والأطفال والمهاجرين والأسرى، إلا أن الأشخاص ذوي الإعاقة ظلوا يعانون من التمييز في شتى أنحاء العالم ويتعرضون لألوان من التهميش والإقصاء داخل المجتمع، وهو ما دفع المجتمع الدولي إلى تبني صك دولي ملزم، وهو الاتفاقية الدولية لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة والبرتوكول الملحق بها والتي تنص بشكل واضح على أن حقوق الأشخاص المعاقين تعد جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان عامة كما تدعو إلى احترام المبادئ الأساسية المتمثلة في الكرامة والاستقلالية الفردية وعدم التمييز والمشاركة التامة والكاملة واحترام مبدأ الاختلاف.

كما تجاوزت الاتفاقية حصر مشاكل الأشخاص المعاقين في الجانب الطبي المحض لتشمل القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان فضلاً عن ذلك، تعترف هذه الاتفاقية بأن الحواجز المجتمعية والاقتصادية والثقافية والأحكام المسبقة هي نفسها عوامل تشكل عقبة في مسار النهوض بحقوق هذه الفئة الاجتماعية.

في المجتمعات الحضارية، هناك فرق بين التعامل مع الإعاقة وبين التعامل مع المعاق. فالتعامل مع الإعاقة يتم عن طريق المراكز المتخصصة والمستشفيات ومعاهد الأبحاث، أما التعامل مع المعاق، فإنه يتم عن طريق إتاحة الفرص وتهيئة السبل أمام المعاق لتحقيق غاياته.. وأحقيته في الوصول إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه أي فرد في المجتمع.

سنعرض اليوم لحقوق المعوقين في القانون السوري والذي أتى في متنه متناسباً مع المبادئ الدولية لحقوق المعاقين إلا أن الخلل يكمن في التطبيق، بناءً على ما أقره مجلس الشعب في جلسته المنعقدة بتاريخ 2004/6/29 م صدر القانون الخاص بالمعوقين في سورية والذي عرف المعوق بأنه: " الشخص غير القادر على أن يؤمن ضرورات الحياة الفردية الاجتماعية العادية لنفسه بنفسه سواء كان ذلك بصورة كلية أم جزئية بسبب قصور خلقي أو مكتسب في قدراته الجسمية أو العقلية ".

الخدمات المقدمة للأشخاص المعوقين

المادة 9 تقدم الدولة إلى المعوقين الخدمات الآتية:

أولا: في المجال الصحي:

1 تقديم الخدمات الوقائية والعلاجية مجاناً من خلال المؤسسات الصحية العامة وتحدد هذه الخدمات بقرار من وزير الصحة.

2 تعزيز اختصاص أقسام الطب الفيزيائي وإعادة التأهيل لتقديم الخدمات العلاجية والتأهيلية للمعوقين.

3 تخصيص مركز صحي للمعالجة الفيزيائية خاص بالمعوقين على الأقل في كل محافظة لتقديم خدمات الكشف المبكر عن الإعاقة وتسجيل الأطفال المعرضين للإصابة بالإعاقة ومتابعة أوضاعهم وتقرير العلاج اللازم لهم.

6 إحداث سجل عام للإعاقة في مركز دعم القرار في وزارة الصحة بالتعاون مع المكتب المركزي للإحصاء لتكوين قاعدة بيانات حول الإعاقة في الجمهورية العربية السورية.

ثانياً: في مجال التربية والتعليم العالي والرياضة:

1 الاهتمام بتربية الأطفال المعوقين في مرحلة الطفولة المبكرة.

2 توفير التعليم الأساسي للمعوقين جسميا في سن المدرسة سواء في مدارس التعليم النظامي أو في المعاهد وفق أسس تحدد بالتنسيق بين الوزارة ووزارة التربية.

3 منح طلاب الجامعات من المعوقين جسميا أولوية القبول في المدن الجامعية.

4 إحداث تخصصات في المؤسسات التعليمية والصحية في مجالات الإعاقة الجسمية والعقلية بما يضمن إعداد أطر متخصصة لهذا الغرض.

5 توفير ما يلزم لممارسة المعوقين الأنشطة الرياضية وتشجيع رياضة المعوقين جسمياً ضمن المدارس والمعاهد.

6 تخصيص عدد من المقاعد للمعوقين جسمياً في بعض كليات العلوم الإنسانية في الجامعات السورية للتفاضل عليها بشكل خاص بمعزل عن الحد الأدنى لمجموع الدرجات المطلوب سنوياً لهذه الكليات.

ثالثاً: في مجال التأهيل والعمل:

1 يمنح المعوق جسمياً أفضلية للاستفادة من القروض التي تمنحها الهيئة العامة لمكافحة البطالة وأنشطتها ويعفى من الرسوم والضرائب المترتبة على تأسيس هذه المشاريع التي تمنح هذه القروض من أجلها.

2 يجوز للوزارة التعاقد مع الجمعيات لتنفيذ مشاريع مشتركة لتأهيل المعوقين وتحدد شروط الشراكة بقرار يصدر عن الوزير.

3 يستفيد صاحب العمل في القطاع الخاص ممن يشغل معوقين زيادة على النسبة المحددة لتشغيل المعوقين في القوانين والأنظمة النافذة من حسم على ضريبة الدخل وذلك بمقدار الحد الأدنى للأجر عن كل معوق يشغله لديه زيادة عن تلك النسبة شريطة حصول صاحب العمل على بيان يثبت ذلك من الوزارة.

رابعاً: في مجال توفير البيئة المؤهلة:

1 تراعي وحدات الإدارة المحلية عند منح أي ترخيص لبناء جديد حكومي أو خاص التقيد بالمعايير والشروط والمواصفات الفنية والهندسية والمعمارية الواجب توفرها في المباني والمرافق العامة الجديدة "أرصفة، طرق، حدائق" وما أمكن من المباني والمرافق القديمة بما لا يمس الجملة الإنشائية أو الطابع الأثري أو التاريخي لها وبما لا يتجاوز 5 بالمائة من قيمتها الأساسية لكي تلبي احتياجات المعوقين وحركتهم.

2 توفير أجهزة ومعدات ومرافق اتصالات عامة ما أمكن ذلك لتتلاءم واحتياجات المعوقين جسمياً ومنحهم الأولوية في الحصول على وسائل الاتصال المختلفة.

3 يجوز تخصيص أراض من أملاك الدولة والوحدات الإدارية مجاناً لإحداث المعاهد من قبل الوزارة والجمعيات.

4 يخصص في وسائل النقل العامة الجماعية مقاعد قريبة من الأبواب ويلصق عليها الشعار الخاص بالمعوقين.

خامساً: في مجال الإعلام والتوعية:

1 تتولى وزارة الإعلام من خلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وبالتعاون مع الوزارة تقديم برامج التوعية في المجالين الآتيين:

التعريف بالإعاقة وأنواعها وأسبابها وكيفية اكتشافها والوقاية منها والحد من تفاقمها.

التعريف بحقوق المعوقين واحتياجاتهم والخدمات الواجب تقديمها لهم وبقدراتهم على الإسهام في بناء المجتمع.

2 تقوم وزارة الإعلام بتخصيص نافذة تلفزيونية للصم في البرامج العامة وتشجيع دور النشر العامة والخاصة على إصدار وسائل تعليمية وتثقيفية للمعوقين.

سادساً: في مجال الإعفاءات والخدمات:

1 تعفى من جميع الرسوم الجمركية مستوردات الأجهزة الخاصة حصرا بالاستخدام الشخصي للمعوق وتحدد هذه الأجهزة بقرار من رئيس مجلس الوزراء بناء على اقتراح الوزير.

2 يعفى المعوق من رسم الطابع في جميع معاملاته الشخصية مع الجهات العامة.

3 يعفى المعوق من رسم دخول الأماكن العامة الأثرية والثقافية.

4 يجوز صرف إعانات مالية للأسرة الفقيرة التي تتولى رعاية المعوقين الذين لديهم شلل دماغي ويحدد مقدار الإعانة بقرار من الوزير بعد موافقة وزير المالية.

5 تعفى مشاريع الجمعيات التي يتبرع المهندسون بتنفيذها مجانا من الرسوم والأتعاب الهندسية.

6 يمنح المعوق ومرافقه وفق نوع الإعاقة وما يرد في بطاقة المعوق تخفيضا بنسبة 50 بالمائة في وسائل النقل العامة الجماعية البرية والبحرية والجوية.

لعل المواد الواردة في القانون آنف الذكر لو تم تطبيقها تتيح للمعوقين التمتع بالحقوق المعترف بها دولياً، لكن الثغرة في النص القانوني أنه لم يقدم عقوبات أو تدابير ملزمة اتجاه الأسر التي تخفي المعوق، بدافع الخوف والخجل اللذان يكتنفان تصرفات عدد من أولياء الأمور الذين يرفضون دمج أبنائهم من ذوي الإعاقة في المركز المتخصص لعلاج هذه الفئة بهدف إعادة تأهيلهم تمهيداً لدمجهم في المجتمع، أو الأسر التي تمارس أشكالاً من العنف مع المعوقين، وكان الأولى بالمشرع والحالة هذه أن يحيل الموضوع لقانون العقوبات ويعتبر حالة الإعاقة ظرفاً مشدداً للعقوبة...

كما كان الأولى بالمشرع تقسيم المعوقين إلى شرائح بحسب درجة الإعاقة، وتوفير إعانات مالية للحالات الشديدة تعطى بناءً على تقرير طبي...

ولعل حال المعاقين يتطلب إحداث تغيير في النظرة المجتمعية للشخص المعاق حيثُ ينبغي النظر إليه كإنسان كامل الإنسانية ليس غير. وهذا يدخل ضمن مسؤوليتنا جميعا كمواطنين، وضمن مسؤولية الحكومة فيما يتعلق بالبرامج التعليمية وإدماج مبادئ حقوق الإنسان بالنسبة للشخص المعاق بها، وبالنسبة للجمعيات الفاعلة في المجال وبالنسبة لوسائل الإعلام التي لديها دور مهم تقوم به بهذا الصدد.

ثائرات سوريا يقمن اليوم بثورتين معاً

■ خلود زغير

ليست المرأة كائناً مضافاً أو مفاجئاً على الثورة أو المجتمع السوري قبلها ليتم تناولها من باب "الدهشة" و"الخصوصية"، إنها أحد مكونات هذا المجتمع وهذه الثورة كما أي مجتمع وثورة في العالم. ما هو أرضٌ للبحث "خصوصية" الثورة السورية ككل، وأحد ملامح هذه الخصوصية هو تحطيم "الصور النمطية" للشعب/ النظام/ السلطة/ الحقيقة/ الحق/ الدين/ الأخلاق/ المعرفة/ القانون والإعلام.. الخ ومن هذه الصور العديدة: الصورة النمطية للمرأة.

الثورة أطلقت صوت المرأة بعد أن كان "عورة" جعلته "ثورة" وحولت صمت الرجل ل "عورة"، إنها ثورة على المفاهيم. الثورة ركلت بخفة وراءها أعراس وتجمعات الفصل الجنسي العنصري بين "جرملك وزلملك" لتخلق طقساً اجتماعياً جديداً في كثير من المناطق، فالميدان لم يعد حكراً على الرجال، الرصاص والسجون والتعذيب لم تعد للرجال بل للنساء أيضاً، الاغتصاب تشارك به الجميع نساءً ورجالاً وأطفالاً..

المرأة الثائرة هزّت صورة المرأة "المطيعة"، المرأة الثائرة لم تعدْ صبورة على القهر والظلم والفقر والإهانة، المرأة الثائرة التي تهتف في الشارع اليوم تحت الرصاص أو خطر الاعتقال والتعذيب حتى الموت ليست تلك التي طالما وصفت بأنها "ضعيفة". المرأة التي تنظم ما يقارب 60٪ من المظاهرات وحملات الحراك السلمي وفاعلة بالتنسيقيات واللجان وتكتب وتحلل وتتحمل مسؤولية الأسرة بعد اعتقال رجالها لم تعد "اتكالية" وانخراطها بالفعل الثوري وصمودها حتى الآن يبطل المقولة الشائعة أنها "منساقة وراء عواطفها" أو "ناقصة عقل".

لقد حقق الحراك الثوري حتى الآن خلخلة في البنى الدينية والاجتماعية التقليدية الأكثر رسوخاً تجاه المرأة، ومسألة إدراك الصور النمطية التي ألحقت بالمرأة عبر تاريخها الحضاري هي خطوة أولى أساسية ليس فقط لرفضها بل لإعادة بنائها. إنّ فعل التغيير فعل بنيوي يبنى على مراحل وباستمرارية بحيث يأخذ دائما الظروف السياسية / الاقتصادية / الاجتماعية المؤثرة والمتأثرة، وهو جذري- حداثوي أيضاً بمعنى ينطلق من مقدمات جديدة غير تلك التي كنا نبني عليها من قبيل "المرأة هي الطرف الأضعف في المجتمع" وأنها تتحمل عبء الكفاح الثوري ونتائجه عليها وعلى زوجها وأولادها. لأن العكس صحيح أيضاً والرجل والمرأة متساويان بهذا العبء ونتائجه.

فهل ستمكننا الثورة من الانطلاق من مقولات جديدة لا ضعيف فيها ولا قوي بعد أن تساوى الجنسين أمام المدفع والرشاش وتحت آلة التعذيب؟

قد يدافع البعض عن استمرار المجتمع البطريركي لعدم تساوي نسب الشهداء والمعتقلين بين الجنسين، لكنه حتما يتجاهل كفاح ومسؤولية من بقي على قيد الحياة أو خارج المعتقل تجاه باقي أفراد الأسرة وأطفالها وتنكيل السلطة.

إنّ العمل على الانطلاق من مقدمة "تساوي المرأة والرجل ك(مواطنين) في الحقوق والواجبات والقيمة الوجودية والإنسانية مساواة تامة" لإحداث تغيير حقيقي قائم على المساواة الوجودية والاجتماعية والندّية وليس فقط في حق العمل والانتخاب والترشح سيكون إحدى خطوات الثورة الفعلية. حيث أن مكتسبات المرأة السورية حتى اليوم مكنتها من الدخول لمعظم قطاعات العمل والسياسة ولكن عدم تحقق الدولة المدنية والعلمانية أبقاها مواطناً من الدرجة الثانية، لذلك ستكون المرأة أول الساعين (المستفيدين أيضا) لمثل هذه الدولة لنيل الاعتراف بوجودها كإنسان ومواطن درجة أولى متساوي مع أبناء شعبه من الجنس الآخر بالقيمة والأهلية والكفاءة.

إنّ تجربة الفعل الثوري وما أحدثته في الوعي الجمعي من تحطيم للرموز والآباء وتوابعهم من رؤساء/ زعماء/ ديكتاتوريين صغار وكبار/ أوصياء/ رقباء.. الخ ستترك أثرها العميق في وعي المرأة بذاتها ك"أنا" وك"ذات" وستثور على واقعها القديم ك"موضوع" أو "أداة". فالمرأة التي ثارت على الديكتاتور/ الأب/ الوصي لن تقبل مستقبلاً الرضوخ لديكتاتور أو وصي آخر في أسرتها أو مجتمعها أو حياتها، ستثور عليه لسبب بسيط أنها عرفت الطريق ودفعت ثمنه غالياً في المرة الأولى من لحمها ودمها وأولادها، لذلك كل الأثمان المستقبلية ستكون أقل تكلفة.

ثائرات سوريا يقمن اليوم بثورتين معاً، واحدة على الديكتاتور السياسي وأخرى على الديكتاتور الاجتماعي، يأخذن موقعهن من الساحات والشوارع والمنابر التي طالما احتكرت ذكوريا ويتقاسمنها نهاراً وليلاً كما تقاسمن معهم المعتقل والسلاح. ثائرات سوريا يتظاهرن لهدفين بذات المظاهرة أحياناً، تارة لإسقاط الاستبداد السياسي وتارة لإسقاط السلطة الاجتماعية التي تخرج كماحكات جانبية هنا أو هناك.

بعد أيام من "تفشي" مصطلح "حرائر" بدأت صفحات ودعوات الكترونية وميدانية في التظاهرات رافضة لهذه التسمية القائمة على ثنائية أحرار / إماء ورفعوا شعار "ثائرات ولسنا حرائر". نساء سوريا لم يقبلن مدحهن بصفات الذكورة ك"أخت رجال" وقالوا إذا أردتم العودة للتاريخ ولابد فقد كان أجدادنا العرب يتفاخرون بنسبهم لأخواتهم إذاً قولوا أنا أخ فلانة! والأفضل من الحالتين أن نعتزّ بكم كرجال سوريا الثائرين وتعتزوا بنا كنساء سوريا الثائرات.

شاعرة وباحثة في جامعة السوربون الجديدة - باريس 3

وطني ثورتي

■ عروة المقداد

صباح الخير يا بلدي الجميل، فنجان قهوتي مكسور، ثمة بعض من القهوة العالقة في سقف الذاكرة....

صباح الخير يا درعا... يا درب الغيم المفروش لزواريب الطفولة؛ من حي السد لشمال الخط ومن الجامع العمري لقريتي غصم.

أيها القلم المكسور، أيتها الأوراق الممزقة، أيها الحبر المتلبد في الفم.

صباح الخير يا شباب كل الشباب يلي عم يدافعوا عن الحق وبعد فيهم أخلاق.. سلميين ومسلحين.

صباح الخير يا قاسم مزاحي اليوم عالي، بعدني عايش. صحيح في غصة بس ضحكتك عم تغطي وجهي مثل مطر ناعم بأول الربيع. صباح الخير أبو علاء، وصباح الخير لقهوة الدكتورة جمانة المنكهة بنكتة لاذعة مثل القهوة المرة. وضحكة أبو كاسر المدهوش وطيبة نوار وأبو عمر وأبو عبدو وعمر وأبو أحمد وأبو وسيم.

صباح الخير أبو أويس صباح الخير للزنزانة الثانية بكل العرق والدم والصراخ ولكل الشباب يلي مرقوا وعم بيمرقوا عليها. صباح الخير أبو ثائر وين ما كنت وبأي جبهة وعلى أي خط نار. صباح الخير لرجولتك وشهامتك وشجاعتك.

صباح الخير للي ما ذكرت اسمه لأنه الذاكرة صارت بتشبه السرابيل.

صباح الخير يا أمي، صباح الخير لثوب صلاتك يلي بيطلع منه الصبح، ولطعمة الخبز المسخن على جمر لوعتك، ولعيونك الصغار يلي ورثتيني ياهن بس خلوني شوف الدنيا أوسع وأوسع... وصباح الخير يا نور، صديقتي الوحيدة، صباح الخير لطفولتك المسروقة ولخجلك البريء. صباح الخير للعبنا مع بعض وأسرارنا الدفينة وأغانينا المجنونة... لو تعرفي يانور إني ما كبريت.. مثلك أنا، صغير وخجول والعالم ضحكة ولعبة. صباح الخير لضفائرك الصغار. ورسمك الحلو بعيون عم تستكشف وتسأل.

لكل الحزن أو بعضه، للكلمات المفقودة، للوجع الدفين، للغة العالقة بين شظايا الصمت.

لشرق البلاد وغربها للأماكن المجهولة والمعروفة المدمرة والباقية.

صباح الخير للذكريات، لكل الذكريات يلي ما بتقصفها قذيفة مدفع، ولا بمزقها طلق رشاش. صباح الخير لكل الصامدين ويلي مكملين للمكلومين والفرحانين ويلي بعد في نفس بصدرهم.

جدران سوريا تجسد صراع الثورة والنظام

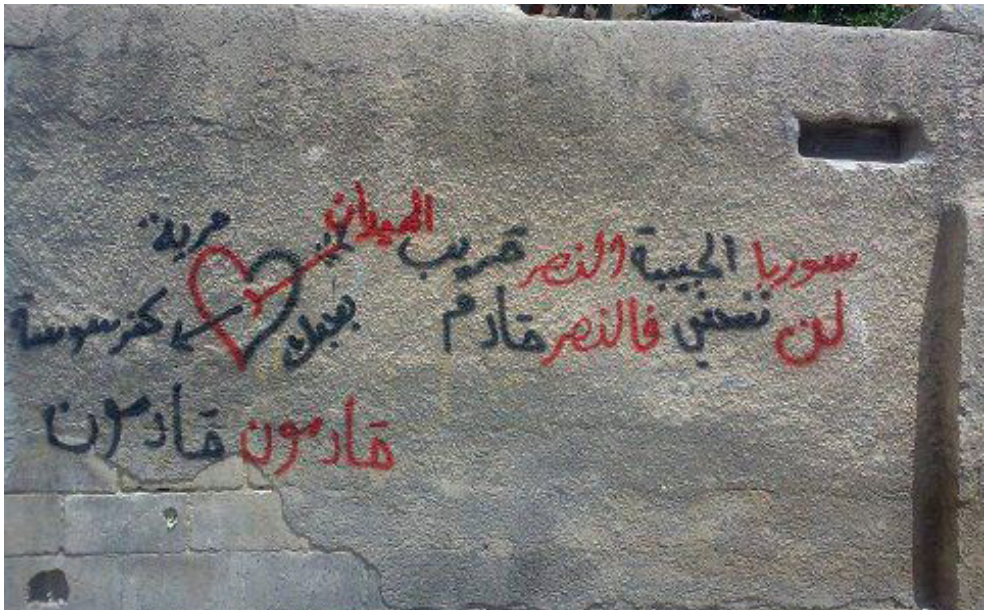

من يتجول في شوارع سوريا يستطيع قراءة جانب من الصراع الدائر في سوريا مكتوب على الجدران واللافتات والصور، فهناك شعارات وصور تفرض بقوة الدولة، وأخرى تطمس أيضا باستخدام القوة ذاتها.

النظام فقط يستطيع الترويج لنفسه عبر اللافتات الطرقية، في حين تشهد الجدران نزالا قويا بين شباب الثورة من جهة ومؤيدي النظام ورجال الأمن من جهة أخرى.

حملات رسمية

الإعلان الطرقي هو الوسيلة الأكثر فعالية للدعاية في سوريا بحسب المختصين، ولم يوفر النظام هذا الأسلوب في حربه الإعلامية، وهو الطرف الوحيد القادر على استخدام لوحات الإعلان الطرقية للترويج لحملاته، فاللافتات في الشوارع التي كانت تسوق لبضائع ومنتجات تجارية أصبحت منذ بداية الثورة تحمل شعارات تسوق لرواية السلطة بشأن المحتجين وتحرض عليهم بشكل مباشر.

يدور الصراع بين بقاء الأسد ورحيله وتصويره كمجرم أو كقائد وتمزيق صوره أو تعليقها، ويحتدم بشدة حول كلمة "حرية" المطلب الأول للثورة السورية التي قابلتها محاولات لإعادة قولبة الحرية وفقا لقياس السلطة عبر لافتات ضخمة تتناول مفهوم الحرية وتشرحها للمواطنين، "الحرية لا تبدأ بالطائفية.. تبدأ بالوحدة الوطنية" و"الحرية لا تبدأ بالتخريب.. تبدأ بالوقوف إلى جانب القانون"، "الحرية لا تبدأ بإرهاب الآخرين"، اثنا عشر شعارا من هذا النمط تعم الشوارع في ربط بين المطالبين بالحرية وتلك الصفات السلبية.

وتنوعت أفكار الحملات الرسمية بين فرض طريق إجباري للإصلاح من خلال شعار "الإصلاح طريق واحد يقوده بشار" ضد المطالب برحيل الأسد، ونوع آخر من الشعارات المنتشرة في الشوارع تحمل عبارات من قبيل "حاربوا رموز الفتنة وحاصروهم" وهي الأكثر مباشرة في التحريض.

شعارات تأييد

وفي المناطق التي يبسط الجيش النظامي سيطرته عليها تجد على الجدران عبارات مؤيدة للأسد من قبيل "الأسد أو لا أحد"، "الأسد أو نحرق البلد"، وعلى وجه الخصوص حول الحواجز الأمنية والعسكرية التي ترفع صور الأسد ويخط عناصرها تلك العبارات كيفما اتفق وحيثما استطاعوا ذلك.

كما تشكل صور الرئيس الأسد أحد أهم رموز الصراع الدائر حاليا في سوريا، وأصبحت تنتشر بكثافة في الشوارع والمؤسسات الحكومية وعلى حواجز التفتيش التي يقيمها الجيش النظامي وفي بعض الأماكن العامة بدمشق كمراكز التسوق والمطاعم والمقاهي والفنادق، وهناك من يقول إن البعض يعلقون صور الأسد كنوع من التعويذة التي تكف بلاء المخابرات والأمن عنهم، ويعمد المعارضون إلى تمزيقها في مناطقهم، فيعاود الجيش والأمن فرضها بالقوة.

الرجل البخاخ

وتشهد جدران تلك المدن حملات طلاء كاملة بشكل دوري من قبل الأمن، وأحيانا يجبرون الأهالي على فعل ذلك كما حدث في الكسوة بريف دمشق عندما دخلها الجيش وأقام متاريسه فيها، وخط شعارات التأييد على جدرانها، لكن البخاخين "الناشطون الذين يبخون الشعارات" يسيطرون على الوضع في مدينة دوما بحسب قول أحد الناشطين هناك، وأضاف أن عناصر الجيش والأمن كانوا يقضون يوما كاملا في طلاء الجدران بعد كل اقتحام للمدينة، لكنهم سئموا ذلك، وأصبحوا إما يمسحون اسم الأسد فقط، أو يضيفون كلمة للشعار لتغيير معناه، وقال "لا يوجد الآن مكان لكلمة إضافية على جدران دوما".

وأطلق السوريون في ثورتهم اسم الرجل البخاخ على الناشطين الذين يقومون ببخ شعارات الثورة على الجدران ويتحملون المخاطرة من أجل ذلك، أحد هؤلاء محمد نور زهرة (23 عاما) رجل بخاخ دفع حياته ثمنا لكتابته عن الحرية في دمشق، ومؤخرا بدأ الناشطون بالعمل الجماعي وبشكل مكثف فيما أسموها بكتائب الرجل البخاخ.

حملات الناشطين

وللمرة الأولى في الثورة السورية قامت مجموعات من الناشطين مؤخرا بتنظيم عدة حملات لطباعة الشعارات والصور على الجدران والتي تعرف بالغرافيتي، كانت أولها حملة اكسر قيد الذل، ثم حملة أسبوع غرافيتي الحرية، حيث لقيت تجاوبا واسعا داخل سوريا وخارجها، وشارك الكثير من الشباب الموهبين في ابتكار تصاميم عديدة نشرت على الإنترنت ويقوم البخاخون بطباعتها على ورق مقوى ثم تفريغ مكان الكتابة وبخها على الجدران.

وقالت نسرين الزرعي -إحدى منظمات الحملة- للجزيرة نت "إن الغرافيتي ترافق مع كل ثورات الربيع العربي، وتمكنا من القيام بحملة منظمة شارك فيها الشباب والشابات في كل المراحل حتى في عملية البخ على الجدران، وتطوع ناشطون من خارج سوريا وطبعوا الشعارات في دول عديدة مثل تونس ومصر وفلسطين ولبنان وأميركا وفرنسا وإسبانيا"، وأردفت أن كلمة الحرية -قضية السوريين- والتي طبعها المتطوعون في الجامعات والمساجد والشوارع بسوريا طبعت كذلك على صور المتنافسين للرئاسة بفرنسا، وعلى جدار الفصل العنصري بفلسطين وعلى أرصفة باب عمودا بالقدس.

وكانت تصاميم الغرافيتي في غاية التنوع والإبداع فمنها صور للشهداء وأخرى للمعتقلين وبعضها تناول صور الأسد بسخرية وذكرت شعاراتها بالكثير من الأفكار التي قامت عليها الثورة السورية وتضمنت رموزا للسلام والألم والكثير من أحلام هؤلاء الشباب بسوريا الغد.

مذكـــــرات الرقـــم 7

■ جمال داوود

لا أكرهكم لأنكم تخليتم عني.. ولا أستغرب ردة فعلكم اتجاهي.. أنا صراحة لا أكره أحداً..

ولا حتى "الستيتيات"، مع أني أكره صوتها المزعج في الصباح، الذي يذكرني بضرورة الإستيقاظ لمواجهة الحياة مرة أخرى وجهاً لوجه ..

أنا لا أكره أحداً..

ولا حتى أنتم، من تملكون مفاتيح هذه الحياة وأسرارها، أنا أعرف أني أجير رخيص لديكم، وعامل متواضع، وثقافتي "على أدي"، وأني وأولادي سنموت دون أن نشعر كيف هي الحياة على حقيقتها، حياتكم..

قد تسألون من أنا؟ ما اسمي؟ ما مهنتي؟ ما مدى معرفتي بكم حتى "شيل الكلفة" وأخاطبكم هكذا.. دون ألقاب..

لا داعي لذكر اسمي حرفياً.. فقد مرت أسماؤنا كثيراً على مسمعكم ولا أظنها تهمكم، الداعي: فلان بشحمه ولحمه..

"فلان دفاية، فلان صحية، فلان بلاليع، فلان شوفاج، فلان معلم دهان.. غالباً ماتنادونني أبو حميد"..

لا يوجد فرق كبير في أسمائنا.. أنا غير موجود بنظركم، وابني وزوجتي وأختي وأخي وأمي وأبي هم سبعة أرقام، إن مات أحدنا بقي ستة، إن جاءنا مولود آخر أصبحنا ثمانية..

وقد أكون أنا الرقم 7 في إخوتي، فنحن وكما هو معروف عنا، لا نتوقف عن الإنجاب، نحن نحب الأطفال وإنجاب الأطفال، نحب أن نترك لنا أثراً في هذا العالم، لعل مستقبلهم يكون أفضل من ماضينا..

وأعرف أنكم تكرهون هذا.. فهذا يعني 7 دقائق أخرى في طابور خبزكم، و7 وقفات لسياراتكم في النهار حتى نعبر الشارع، و7أ نفاس زائدة في غرفة طبيب الأمعاء والداخلية والأسنان "حيث أننا نأكل أي شيء يؤكل"، وجرة غاز وحنفية ماء وعداد كهرباء زائد هي من نصيبكم، وإن ذبح السبعة فجأة بسبب خلافاتكم السياسية على حكمنا.. لم يبق منا شيء.. إلا 7 جثث بكفن أو دون.. و7 نعوات.. و7 حفر رخيصة في مقبرتنا فوق الجبل أو في منطقة المخالفات..

أحياناً أشعر أني أكرهكم، بسبب غروركم وتعاليكم علينا، لكنكم تجيدون اللعبة معي، "كاسة شاي، وتفضل أبو حميد شيخ الشباب"، كافية لتنهي موضوع الصراع الأزلي بيني وبينكم..

أنا أعرف أنكم ترددون تلك العبارات لخداعي، وأستطيع رؤية وجوهكم المصفرة عند شم رائحة عرقي، أعرف أن رائحة عرقي مقززة، لكن ثقوا تماماً لم أجد وسيلة رخيصة أزيل بها مفعول العرق بعد 10 ساعات شغل أو أكثر.. ولاحتى الشبة "آخر اكتشافات سوق العصرونية"..

أنا لا أكره أحداً، ولا حتى ذاك الوطن الذي أتوسل إليكم مراراً أن تعطوني تعريفاً واضحاً له، وكيف تريدون مني أن أقدم له دمي وهو لم يقدم لي إلا همومه، وكيف أتغنى بالوطن وأنا الذي أتمنى كل يوم أن يهجرني ويغادرني على باب سفارة أجنبية..

و ما هو الوطن؟ ذلك النهار المحكوم بالذل؟ تلك الشمس التي تشرق للمسؤول وابنه، اولئك الذين يدبكون في الساحات ويرسلون لنا تنكة الزيت ويبتسمون لنا فقط في الانتخابات والمسيرات الوطنية؟..

ذاك الوطن الذي لم يقدم لي سوى الطوابير و"الشرشحة" والأمراض المستعصية وسوء المعاملة وتوجيه الإهانات مما هب ودب..

ذلك الوطن بخيل علي، أعمى اتجاهي، متآمر، مطنش، يظن نفسه فوقي وأنا مجرد رقم في سجلات موظف الإحصاء.. أو سجلات الوفاة!..

هذا الوطن جدرانه "بللوك" غير "مليس" وأرضيته "صبة" خشنة وسقفه "مخروم" يدلف ومعاملاته رشوة وإذلال وألبسته بالة وتنزيلات ولحمته جاموس وخبزه نعرات وسرفيسه "مدافشة" ووقفة في الشمس ومازوته إهانة و"كهربته" سرقة وإن سألته لماذا؟ يرد علي مع طيارة على الرقبة:خراس ولا حيوان.. إلك عين تسأل..

"و مع هذا أنا الرقم 7 لا أسمح لأحد أن يقول عني "خائن"..

أنا الذي أحطم الفرشة عند فوز منتخبنا الوطني بأي لعبة كانت، أنا الذي أتواجد في مباريات الدوري السوري، وألوح لكل كميرة عبرت الطريق بالصدفة، أنا الذي أحفظ حوارات مسلسلاتنا السورية وأسماء الممثلات جميعهم وأحبك الإشاعات حولهم من شدة تأثري بهم، أنا الذي اتصل على الراديو وأرسل الإهداء لكم وتضحك المذيعة وتضحكون علي كل مرة، أنا الذي أتابع كل برامج التلفزيون السوري.. بما فيهم أرضنا الخضراء ونصائح دودة القز.. أنا البطل في برنامج التلفزيون والناس، أنا الذي حمل الماندو والعفش والمحلجي إن أتوا منتصرين من الخارج بأي كأس آسيوي أو لقاء ودي حتى، أنا الذي أحرق أي سفارة بالعالم إن سمعت أنها تعدت على كرامتنا ووطننا، أنا الذي أتمايل مع أغاني أصالة وجورج وسوف في مهرجاناتكم وأمسك تلك الولاعة أو المحرمة، أنا زوار معرض دمشق الدولي الذي تحملني الحافلات من تحت جسر الرئيس مجاناً مع منية، أنا من يقرأ جريدة تشرين والبعث حتى آخر صفحة وأدعي تصديقها، أنا الذي أرحب بالأجنبي "ويلكم ويلكم".. أنا نبض البلد وزحامه، أنا زبون وقفة العيد الذي يغزو أسواق الحريقة والشعلان والقصاع والعزيزية ليشبع تجار البلد ويعلو شأنهم ويفتحوا فروع جديدة، أنا غلة العيد وكل المناسبات بما فيهم عيد الأم، أنا الذي أجلس القرفصاء في السرافيس، أنا الذي أجلس "الحرمة" والكهل..

أنا أخوكم المواطن الذي توجه له الدولة كل التحذيرات والتنبيهات والشعارات الكاذبة..

أنا الرقم 7، أعرف أن منظري قد لايكون مرتباً، وأنكم تنفرون مني، وتهزؤون مني دائماً إن تلعثمت بحروف اللغة الانكليزية "المبهبطة علي"، إنما أحاول جهدي صدقاً أن أترتب عندما أقابلكم وألا أتلعثم، وأعرف أن لدي مشكلة في حرف ال ب P واللاحقة tion شين وعدة مشاكل أخرى..

وأعرف أن ذوقي في الأفلام هو الأكشن والمصارعة.. لكن صدقوني أنا لست طائفياً..

"ربما أكون بنظركم مريض أو طائفي، "إن تفضلتم علي وشرحتم لي ما هو الطائفي؟..

مع أني أحب كل الأديان السماوية، حتى الشيوعية "أنا منذ فترة حتى ميزت بين الشيوعية والشيعة، الحمد لله أن جارنا معلم المدرسة الشيوعي شرح لي الفرق" أنا لا أكره أحداً لكن يقولون لي أن الجميع يكرهنا، وأن الجميع يريد القضاء علينا، لأننا الدين الصحيح، الوحيد.. يقول أبو مازن "الدكنجي": إنها هجمة شرسة..

لكن تلك الأمراض السطحية لا تعنيني بشيء، هل أنتم معنيون بأمراضي الحقيقية؟ الجوع؟ القهر؟ وخز الكرامة؟ الأنفلونزا الدائمة، الذل المتواصل؟ السعال والقلق الليلي الذي لا يغادر؟ إهتراء الثياب المبكر؟ اختفاء الراتب؟ سعر الكفن؟ سعر باكيت الحمرا الطويلة؟..

أنا الذي أستعمل الدواء دون وصفة خوفاً من أجرة الطبيب، بعد تجريب كل أنواع

الميرمية واليانسون والمليسة والزهورات والنشا والنقوع والخل وزيت الخروع..

لماذا أنا مضطر لسماع وصفاتكم الكيماوية الثقيلة عن المدنية والحرية والديمقراطية؟..

أنا الذي أخاف ذكر كلمة مرض، وأقول عيب الرجال تصرخ وجع، وأصرخ في قلبي لئلا يطلب مني أحدهم زيارة الطبيب، أخاف حتى الطبيب وأناديه يا استاذ، يا سيادة الطبيب، ولو أراد لناديته يا نبي، راعيني ولا تقصف عمري بالفاتورة!..

لماذا الآن على الاستماع لكم وقد أصبحتم على حظي جميعاً أطباء وحكماء لهذا المجتمع..

أنا الرقم 7 إن أصبحت موظفاً حكومياً لن أكره أحداً ولا حتى أولئك المراجعين.. إنما سأحاول تقليدهم وتقمص شخصيتهم إن أصبحوا هم موظفين..

و لن أكره أولئك الطلاب وأفش فيهم عقدي إن أصبحت معلماً في مدرسة.. فقد كنت طالباً وضربت بالعصا حتى أتعلم..

أنا الرقم 7 أسرق ساعات الفرح سرقة من هذا العالم، وأرى يوم الجمعة هو نعمة من الله وفضل علينا، وأنه لنا وحدنا، لأنه يوم عطلتي من التعاسة، ذلك الذي لا أجد نفسي فيه سخرة لأحد، أو تابع لأحد، أو محكوم من أحد، إنه يوم حريتي وسعادتي..

و قد تقولون أن السعادة غير موجودة بوجود الفقر، إنما تقفز أحيانا إلى الواجهة، عندما ننسى أننا فقراء..

و قد تفهمون من هذا أني أنا الرقم 7 أكره الغني..

أنا لا أكره الغني وإنما أكره ظروفي التي لا تبارحني، وظروفه التي لا تزورني ولو بالخطأ..

أعرف أن الحظ خدمه، ويوما ما سيخدمني، لو تربح تلك الورقة يوما ما..

أو يكلم لي ابن عمي أحد أصدقائه، من أولاد المسؤولين، علني أجد عملاً مناسبا..

أنا لا أكره أولاد المسؤولين، فلو أصبحت مسؤولاً لن أكبل يدي أولادي..

فأنا أحبهم وأتركهم بالحارة ليل نهار، ليعبثوا ويلعبوا ويفرحوا بس يحللوا عن.. ويتوقفوا عن الطلبات.. حتى ولو كنت أضربهم، فلأنني فقير ولا أريد أن يشعروا أني عاجز أمامهم، وفي قرارة نفسي لاأريد لهم أن يتعرضوا للذل الذي تعرضت له، لذلك ربما أتركهم على حريتهم إن أصبحت مسؤولاً.. ثم أنا لا أعرف إن أصبحت في موقع مسؤولية "على عصبيتي هذه وحرماني" ما الذي ممكن أن أفعله.. لكن من سيحاسبني؟ إنها فرصتي وقد جاءت أخيرا.. ولماذا لاتجيء فرصتي وأنا القادر مثلكم على فعل كل شيء..

أنا أثق بنفسي تماماً أنها قادرة على إصلاح أي شيء يتكسر في البيت..

مع أني خربت كل الأجهزة التي حاولت إصلاحها في السابق.. "بما فيهم جهاز زوجتي التناسلي" الذي لم يعد يتوقف عن الإنجاب.. و لم أنجح في تركيب أي جهاز فككته..

إلا أنني لا أكره هذا الطبع فيني ولا أعتبر نفسي مغروراً.. فمن اخترع هذا الجهاز هو إنسان مثلي، فقط ظروفه هي من أتاحت له صنع الجهاز، وأنا لم تتح لي الظروف بعد صنع الأجهزة!..

ثم ما الذي يمكن رؤيته داخل هذا الجهاز؟ بماذا يتفوق علينا أولئك اليابانيون؟ بالعلم؟ نحن الذي أنهضنا هذا العالم عندما كانوا يغطون في الظلمات.. يقول شيخنا أبو مازن..

مجرد حظ وصدف..

أنا الرقم 7 لا أكره الغرب، مع أنهم يكرهونني ويقولون عني إرهابي..

هم لم يقولوا صراحة الرقم 7 إرهابي.. بل قالوا أن كل أعدادنا ونسلنا وأشكالنا.. إرهابيون..

و لماذا أنا إرهابي؟ هل يعرفون كم مرة قفزت من سريري عند مشاهدة صرصور؟ كان هذا في الماضي..

الآن أنا اعتدت حتى على رؤية الجرادين ومصادقتها..

كم مرة شعرت بالرعب عند ارتفاع سعر الغاز والمازوت أو ارتفاع حرارة ابني؟ كم مرة أرهبتني جرة الغاز وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة..

هل يعرفون أني أبكي طويلاً أمام المسلسل المدبلج والأفلام المصرية القديمة؟.. هل يعرفون أنني أتمزق عندما أشاهد أخي بحاجة لمصروف ليظهر بمظهر لائق أمام أصدقائه في المدرسة؟ هل يعرفون أنني أضرب نفسي في السر بعد ضرب ولدي الذي بكى من أجل قطعة ملابس جديدة..

هل يعرفون ما هو الإرهاب؟ الديون، كلمة "خلص الغاز والمازوت" هي إرهاب، "جوعانين بابا" هي الإرهاب، كيلو لحمة هو الإرهاب، الملحمة، دفتر دين السمان أبو مازن، لحمة الخاروف إرهاب، السمنة الزيت الخبز، وقفة الميكرو، فاتورة الكهربا، صوت ضابط المخابرات، استدعاء للفرع، طيارات وضرب ومعاملة كالبهايم، هذا هو الإرهاب..

أنا لست إرهابياً، إنما زمانكم هذا هو الإرهابي..

أنا الرقم 7 لا أكره هذا الزمن..

عام 2011 – 2012

على الأقل أصبحنا نسمع أسماء ضيعنا وأزقتنا المجهولة في نشرة أخبار..

على الأقل تظهر أسماءنا ولو جثثاً ولو قتلى، كنا قتلى في السابق لكن لا أحد كان ليسمع بنا..

كنا نموت وندفن على الساكت.. أنا ميت "عفكرة"، وكيف تقتل رجلاً قد مات منذ زمن..

و كيف تقتل رجلاً تجرع القيح بدل الحليب..

أن تقتل رجلا ليس أن تقذفه من فوق هاوية أو تضع له سماً أو تذبحه بسكين..

قتل الرجل.. هو الظهر دون مسند.. هو الحياة دون معين.. هو الوقوف كالخشب في حضرة المسؤولين.. هو التصفيق والدبك والنوم على أمل الخلاص والراحة الأبدية..

قتل الرجل: هو أن أكون رجلاً بعضو ذكري وشوارب.. أن أجلس أمامكم.. أن أحدثكم بكلامي هذا فلا يُذكر اسمي ولاتراني العين..

عن المذكرات الحقيقية لثائر

ملاحظة:

أنا الرقم 7.. أحد الشهداء المحتملين لأي مجزرة، أي تشييع، أي خطأ فني أو مقصود، أي مرض عضال، أي حادث سير هرب صاحبه، أي منزل هبط على أصحابه، أي طلقة تائهة في الجو، أي دبابة مرت بالصدفة من شارعنا، أنا الثائر المتظاهر، المندس، المتآمر، الخارج عن القانون، أنا الذي أصبح عددي 15000، أنا الذي يسميني القاتل فاطس، أنا الذي يناديني هم، أنا الذي لا يوجه لي خطابه: القاتل، أنا الذي لا يحزن من أجلي القاتل، أنا الذي يخاف القاتل ذكر اسمي، ولو أنه قال مرة.. فقط لمرة واحدة: حقك عليي يا أبو حْميد.. لكنت سامحته ربما

أكياسُ زبالةٍ سوداءُ

■ جمال منصور

ذا الشجرُ العاري
- إلا منَ الرمادِ -
كبهيمةٍ فجةِ الأظلافِ،
يغرزُ أطرافهُ المدببةَ
في خدِ السماءِ / في زقزقةِ
العصافيرِ اللا - مبالية، البلهاءِ /
في صوتِ نشيدِ الدباباتِ المعدنيِ،
الرتيب / في قرقعةِ كؤوسِ المتةِ /
في "قَرقرةِ" حرفِ القافِ السحري،
في كلماتهم العاديةِ، تماماً
لينزفَ الإلهُ
دماً
ودموعاً
واستغاثاتٍ تائهةٍ، بلا ردٍ
ومجزرةً جديدَةً..
(الطعنَهْ)
* * *
بينَ ذراتِ الغبارِ
الـ بالعينِ، لا تكادُ تُرى،
تحت ضوءِ النهارِ
الوقحِ
الحادِ
الـ لا يرحمُ
كسكينِ الجزارِ
تُخلقُ التفاصيلُ -
أصابع الأطفال الصامتةُ اليابسةُ
/ بقايا القذيفةِ المحشوةِ بعنايةٍ،
بالمسامير / أنبوبُ المياهِ، الـ لم
تأتِ يوماً، في موعدها، ينزفُ الماءُ،
للا أحدَ / أرائكُ الدارِ المعلوكةُ
الدميمةُ القديمةُ
الـ لن يجلسَ عليها أحدٌ
ليشاهدَ جثةَ التلفزيونِ
المهربِ، على الأرجحِ،
تبصقُ في وجوههم نشرةَ
الأخبارِ الأخيرةَ
الـ لن يهتموا بها
- كعادتهمْ -
أولئكَ
الـ كانوا
منذُ قذيفةٍ ونيفَ،
ولم يعودوا
سوى
ذراتٍ من غبارٍ
بالعينِ
لا تكادُ تُرى..
(غبارٌ)
* * *
في أكياسِ بلاستيكيةٍ سوداءَ
- لموا كلَ شيءٍ
لُمام الأثاثِ المتبقي، بعدَ
الحريقِ / الخرقَ الـ كانوا يسمونها،
حياءً، ثياباً / تلكَ الصورَ الدميمةَ
في الأستوديو، بخلفيةِ جبالِ الهملايا
الزرقاءِ المزيفةِ / دفاترَ الأطفالِ
مشقوقةَ الأطرافِ / ما تبقى منَ
فناجينِ القهوةِ الموشومةِ، بزهورٍ
فاقعةِ الألوانِ
في أكياسِ بلاستيكيةٍ سوداءَ
- كأكياسِ الزبالةِ المرميةِ على
الدوامِ
على الأرصفةِ المتخمةِ الملولةِ
- في المالكي
لموا حطامَ ما كانَ بالكادِ حياةً
بالكادِ حياةً
بالكادِ
فقط..
(أكياسُ زبالةٍ سوداءُ)

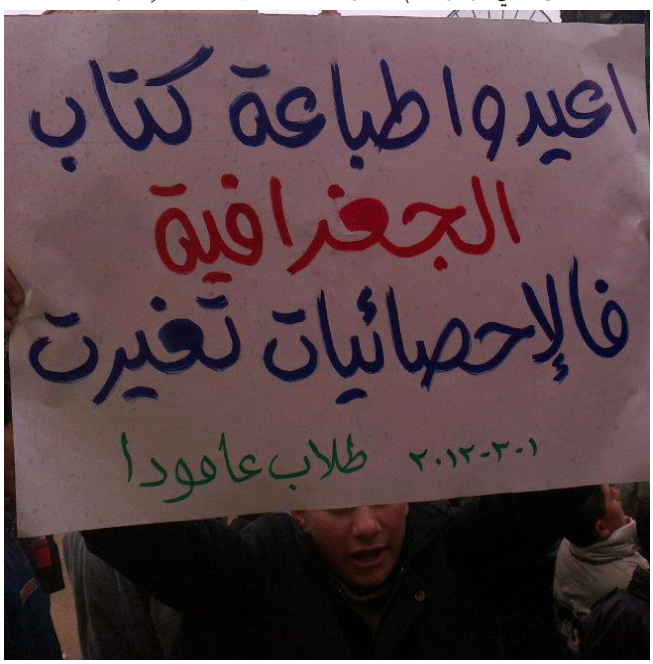

خالد بيك العظم 1906 - 1957

■ ياسر مرزوق

لما كان الهدف من صفحة "وجوه من وطني" الإضاءة على شخصيات فاعلة في التاريخ السوري الحديث، انحصر عملنا بجمع المادة التاريخية وتوثيقها مما يقتضي الحياد اتجاه الشخصية موضوع البحث، لكن عندما تحل قامة بوزن "خالد بيك العظم" ضيفاً على صفحاتنا، لا أملك ادعاء الحياد، إذ يعد العظم وبنظري شخصياً من أهم إن لم أقل أهم الشخصيات في تاريخنا الحديث...

ولد "خالد العظم" الذي حكم في سورية وزيراً ورئيساً بالوكالة ورئيساً للوزراء ونائباً وسفيراً ورجل اقتصاد من الطراز الأول، في دمشق عام 1906 لآل العظم الأسرة العريقة ذات الجذور العربية الأصيلة المتحدرة من أصل عربي حجازي والتي كانت ديارهم تقع بين المدينة المنورة وبين مدائن صالح، ذكر الدكتور محمد شريف الصواف في كتابه "معجم الأسر والأعلام الدمشقية" بأن العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي مدحهم بقوله:

أقصر فهم باقون في أوج العلا

أبد الورى إن العظام عظام

والتي غدا خمسة من أفرادها ولاةً لدمشق في العهد العثماني، كان أشهرهم أسعد باشا الذي حكم هذه المدينة 14 عامًا وخلال ولايته تم إنشاء قصر العظم وخان أسعد باشا، وغيرها من التحسينات على بنية المدينة؛ أما والده فهو محمد فوزي باشا العظم الذي تولى رئاسة بلدية دمشق فأنجز فيها العديد من المشاريع، كالمشفى الوطني وجر مياه عين الفيجة والمساهمة في بناء الخط الحديدي الحجازي، وانتخب مرتين عضواً في مجلس المبعوثان العثماني نائباً عن دمشق. كما عين وزيراً للشؤون الدينية، غير أن سياسته الوطنية أقالته من المنصب سريعًا، وعندما قام المؤتمر السوري العام في 1919 انتخب رئيساً له لكن المنية وافته في العام نفسه ليحل محله الرئيس "الأتاسي"، ووالدة خالد بيك من آل العظم أيضاً.

انتسب العظم طفلاً إلى مدرسة خاصة ثم مكث يوماً واحداً في مدرسة ابتدائية كان يديرها الشيخ "كامل القصاب"، ثم قرر والده أن يأتي إليه بمدرس خاص ليعلمه القراءة والقرآن. وبعدها أشرفت على تدريسه مربيات ثلاث، فأنهى المرحلة الابتدائية في سنوات ثلاث وعمره تسع سنوات، وعندما تم تعيين والده فوزي باشا ناظراً للأوقاف في الحكومة التركية انتقلت العائلة إلى تركيا حيث تابع دراسته هناك في مدرسة "غلطة سراي" وهي من أرقى المؤسسات التعليمية التركية آنذاك. ثم عاد مع عائلته إلى دمشق ليتابع دراسته في المدرسة السلطانية الرسمية، ليتقن الفرنسية إلى جانب التركية ويلتحق "بمكتب عنبر" ليتابع دراسته الثانوية. وفي عام 1919 انتسب لمعهد الحقوق وفي نهاية العام نفسه تزوج من السيدة "سنية" ابنة "راشد باشا مردم بك" وقد حضر زفافه جلالة الملك وفيصل والأمير زيد ووجهاء بلاد الشام، ولم يدم هذا الزواج أكثر من سنة لوفاة السيدة سنية، وفي عام 1922 تخرج من كلية الحقوق.

عام 1927 سعى لدى الداماد أحمد نامي والذي كانت تربطه به أواصر الصداقة لتأسيس غرفة زراعية تعنى بشؤون المزارعين، وتم اصدار مرسوم تشريعي بتأسيسها، وفي عام 1938 انتخب العظم رئيساً لغرفة الصناعة التي ساهم بتأسيسها أيضاً، ومستشاراً في المجلس البلدي بدمشق عام 1939، ووزيراً للخارجية والعدلية في حكومة نصوحي البخاري عام 1941، وشكل حكومته الأولى في 5 نيسان عام 1941 واستلم رئاسة الدولة بالوكالة أيضاً، ثم وزيراً في حكومتي سعد الله الجابري وفارس الخوري المتتاليتين عام 1944، ووزيراً للدفاع والمالية في حكومة الخوري الثانية عام 1945 ووزيراً للعدلية والاقتصاد الوطني في حكومة سعد الله الجابري عام 1946.

عام 1947 أوفد إلى باريس كوزير مفوض عن سوريا في كل من باريس وبروكسل وبرن مستصحباً معه صناديق عديدة مملؤة بالسجاد والأثاث لفرش دار المفوضية من ماله الخاص.

وفي 16 كانون الأول عام 1948 شكل وزارته الثانية، التي انتهت بانقلاب "حسني الزعيم" ودخول العظم السجن مع الرئيس القوتلي وبقية الوزراء ليخرج منه ويعتزل في منزله ويبتعد عن المشهد السياسي، وقد كان للعظم رأي في العسكر أورده في مذكراته "فهو يرى أنهم احترفوا هذه المهنة لفشلهم الدراسي أو لأن أهلهم فقراء لم يستطيعوا الصرف عليهم لمتابعة تحصيلهم العلمي، فوجدوا في الجيش رزقاً حسناً في الحاضر ومغانم كثيرة في المستقبل".

مع انقلاب "سامي الحناوي" في 13/ آذار/ 1949 تشكلت حكومة مؤقتة برئاسة "الأتاسي" كان هدفها إعادة الحياة الدستورية والنيابية للبلاد، تولى العظم فيها وزارة المالية وأنهت هذه الوزارة أعمالها بإقرار الدستور المؤقت وانتخاب "هاشم الأتاسي" رئيساً للجمهورية، وقدمت الوزارة استقالتها في 14 كانون الأول من العام نفسه.

في 14كانون الأول شكل "القدسي" حكومة لم تدم أكثر من ثلاثة أيام، انتهت مع انقلاب فوزي سلو والشيشكلي الأول في 19 كانون الأول عام 1949، والذي أتى تحت ذريعة حماية الجمهورية من الاتحاد مع العراق، وعلى أثر ذلك كلف الرئيس الأتاسي "العظم" بتشكيل وزارته الثالثة والتي احتفظ فيها بوزارة الخارجية إلى جانب الرئاسة.

بدأ الشيشكلي بعمد إلى الاستيلاء على السلطة تدريجيا والتدخل بشؤون الحكم، فاستقال العظم من الرئاسة في 28 نيسان عام 1950، وفي 27 آذار عام 1951 شكل وزارته الرابعة كونه كان الشخصية المقبولة من كل الأطراف إلا أنه ما لبث أن اصطدم مع الشيشكلي وانتهت أعمال وزارته بانقلاب الشيشكلي الثاني في 29/ 11/ 1951، اعتكف بعدها في منزله طوال فترة انقلاب الشيشكلي الثانية...

بعد سقوط حكم الشيشكلي في نهاية عام 1954 تمت الدعوة لانتخابات نيابية، يقول العظم في مذكراته إن أهل دمشق حفظوا له "في قلوبهم منة لتحقيقه ما عاد عليهم جميعا بالوفر والربح والعمل- أي الانفصال الجمركي عن لبنان" ويبدو أن الدمشقيين أظهروا له هذه المنة في الانتخابين التشريعيين في 1954 و1961، حين فاز العظم بأعلى نسبة من الأصوات، وتفوق على مرشحي الحزبين الكبيرين آنذاك: الشعب والوطني، وجماعة الإخوان المسلمين والأحزاب التقدمية كحزب البعث والشيوعي.

في 13 شباط عام 1955 تسلم العظم وزارة الخارجية والدفاع بالوكالة في حكومة صبري العسلي، وفي ذات الوزارة أضيفت إليه وزارة المالية بالوكالة عام 1957، وسمي نائبا لرئيس مجلس الوزراء في نفس الوزارة في 8 كانون الأول من العام نفسه.. حين نشرتُ عام 1955 قصيدة الشاعر الكبير "نزار قباني"، "خبز وحشيش وقمر"، كان الشاعر يشغل حينها منصبا دبلوماسياً في السفارة السورية في لندن وقام بعض النواب بزيارة خالد العظم وزير الخارجية آنذاك، مطالبين بإحالة قباني على اللجنة التأديبية للوزارة، فقال لهم: "يا حضرات النواب الأعزاء أحب أن أصارحكم إن وزارة الخارجية السورية فيها نزاران، أما نزار قباني الموظف فملفه أمامي وهو ملف جيد ويثبت أنه من خيرة موظفي الوزارة، أما نزار قباني الشاعر، فقد خلقه الله شاعراً، وأنا كوزير للخارجية لا سلطة لي عليه، ولا على شعره، فإذا كنتم تقولون أنه هجاكم بقصيدة، فيمكنكم أن تهجوه بقصيدة مضادة، وكفى الله المؤمنين شر القتال".

عام 1957 ترأس العظم الوفد السوري في مؤتمر "عدم الانحياز" في باندونغ وفي نهايات العام نفسه، بدأت رياح الناصرية تهب بعنف على سوريا، وحين ذهبت مجموعة من الضباط إلى القاهرة تقدم تصوراً للوحدة لعبد الناصر وعادت بمشروع عنوانه إنهاء الحياة السياسية في سوريًا، وقف العظم في مجلس الوزراء وكان وزيراً للدفاع والمالية، يحاول أن يفند مشروع الوحدة الذي ضحى بالتراث الديموقراطي السوري. وركز في تحليله على نقاط ثلاث: الأولى هي نقد التحول من النظام الديموقراطي لمصلحة الرئاسي، والثانية هي أن مراحل التنفيذ تختلف مع الدستور السوري نفسه، فهي ستكون عملاً غير دستوري، والثالثة أن الشعب - وهو صاحب السلطات أصلاً - أعطى فقط صلاحية التصويت على قيام الوحدة وترشيح الرئيس، لكنه لم يُعط صلاحية التصويت على الدستور المؤقت لدولة الوحدة، ومن ثم الدستور الدائم، فجاءه الرد من الزعيم الاشتراكي "أكرم الحوراني" ومن رئيس الحكومة "صبري العسلي" وقائد الجيش "عفيف البزري" بأن سورية كانت إزاء مرحلة تحتاج إلى "عمل ثوري أكثر منه قانوني" وعندما جاء موعد التوقيع وتسابق الوزراء إليه، قال العظم عبارته الشهيرة: "إنني أوقع هذا المحضر متحفظاً، والله أسأل أن يبدد في المستقبل تشاؤمي"، ولكن الله لم يستجب.

بعد 38 شهراً، أمضاها العظم في بيته، منكفئاً ومكتئباً وشبه سجين، حيث لم يسمح له بمغادرة سورية حتى يوم

27 أيلول 1961. ويصف العظم السنة الأخيرة من عهد الوحدة في شكل خاص بأنه كان "كابوساً ثقيلاً"، ويضيف إن موظفي المخابرات كانوا "يختلقون وسائل الضغط المعنوي عليه. فتارة يحولون دون دخول أصدقائه إلى داره، أو يرسلون من يهددهم ويخيفهم من الاستمرار على ذلك. وتارة كانوا يبعثون بدراجة نارية يركبها اثنان من عملائهم، أو بسيارة محشوة برجالهم، لتلاحق سيارته وتلامسها، حتى تكاد السيارتان تتصادمان" بيد أن أسوأ ما تعرض له خالد العظم هو حجز السلطات على منزله وأثاث بيته، فاشتد الخناق عليه، لدرجة أنه عندما سمح له أخيراً بالذهاب إلى لبنان، شعر كأنه خلق من جديد.

بعد الانفصال والدعوة لانتخابات نيابية، حصل العظم مجدداً على أعلى نسبة من أصوات الدمشقيين " قرابة الخمسة وثلاثين ألف صوت " وبذلك كان محتماً تكليفه بتشكيل حكومته الخامسة التي انتهت كما انتهت سابقاتها بحدث كبير هو انقلاب 8 آذار 1963وفي وزارته الأخيرة جاءت " جميلة بو حيرد " إلى دمشق بعد تحرر الجزائر من الاستعمار الفرنسي، فأقام لها العظم حفل ترحيب في دارته بدمشق وألقى فيها كلمة فياضة بالشعور العربي أعلن في ختامها التبرع بنصف مليون ليرة سورية للجزائر. وفي وزارته الأخيرة اعتمد العظم مبدأ التوازي بين الديموقراطية السياسية بالديموقراطية الاجتماعية. " وبالفعل، عملت حكومة العظم على البدء بإرساء الجناحين التي لا يمكن للديموقراطية أن تطير إلا بهما. وألغى العظم الأحكام العرفية التي كان الجيش والرئيس "ناظم القدسي" قد أعلناها في آذار 1962، الأمر الذي لم يرق للرئيس، إلا أنه غاب عن خالد بيك التحولات التي أصابت السياسة السورية بعد الوحدة إذ انتقل الثقل للعسكر، الذين يمثلون نقيضاً للعظم وخلفياته، إضافة إلى أن القدر لم يناصره في وزارته الأخيرة، حيث اشتد عليه المرض " كان مصاباً بدرجة عالية من السكر منذ صغره حتى أنه قطعت أصابع من رجليه بسبب هذا المرض".

تجدر الإشارة إلى أن أهم الانجازات على الصعيد الوطني قام بها العظم في وزارتيه الثالثة والرابعة تحت حكم عسكري تقريباً، فعمدت حكومته إلى فصل الوحدة الجمركية مع لبنان "إذ كانت الوحدة الجمركية مع لبنان سبباً لهيمنة رأس المال اللبناني على الاقتصاد في سورية ولبنان معاً. فقد كانت الجمارك المشتركة مرؤوسة دائماً من قبل مدير لبناني وكانت الحكومة اللبنانية ترفض تداول رئاسة الهيئة بين البلدين، وغالباً ما كان المدير اللبناني يتجاهل مصلحة السوريين في عملية الاستيراد والتصدير. ولأن المرفأ المشترك كان في بيروت، ولأن سورية لم تكن تملك مرفأ مستقلاً، كان اللبنانيون أقدر على التحكم بهذه العملية التي غالباً ما تترك أثرها على اقتصاد الدولتين معاً، خصوصاً إذا أضفنا إلى ذلك أن اللبنانيين كانوا يتمتعون بميزة حصرية الوكالات الأجنبية لكل من سورية ولبنان. وقد حقق قرار العظم منافع لا تحصى للسوريين عموماً، فبدأ حتى اللذين لم يتعاطوا التجارة في سابق حياتهم، يبذلون جهداً واسعاً في التجارة الدولية، وراحوا وفقاً لسجلات غرف التجارة السورية يستحصلون على وكالات الشركات الأجنبية في سورية، ويستجلبون البضائع الأجنبية إلى سورية مباشرة بعد أن كانت تأتي عن طريق التاجر اللبناني حصراً "، وأصلحت النقد السوري "حيث أصدرت حكومة العظم سلسلة من القرارات والتشريعات كانت في جملتها تهدف إلى إلغاء حق المصرف السوري في إصدار النقد وحصر هذا الحق ملكاً للدولة السورية وحدها، عبر مؤسسة سورية مائة بالمائة أطلق عليها اسم "مؤسسة إصدار النقد السوري. " وأدت ثورة العظم النقدية إلى رفع قيمة الليرة السورية فصارت تساوي أكثر قليلاً من 405 ملليغراماً من الذهب "، وأنشأت مرفأ اللاذقية وبدأت ببناء مخازن المحروقات، ووسعت شبكة الطرق الحديدية وأقامت مشاريع للري إلا أن العظم ورغم عظيم انجازه يصرح في مذكراته بندمه الشديد على التعاون مع العسكر والاستجابة لإلحاحهم في قبول المناصب الحكومية.

بعد انقلاب 1963، لامه البعض بحجة أن إلغاءه قانون الطوارئ هو الذي سهل للناصريين والبعثيين القيام بالانقلاب غير أن العظم ظل حتى النفس الأخير مؤمناً بالديموقراطية، ويتهم الجيش والرجعية السياسية والولايات المتحدة بأن أحداً منهم لا يحبذ نظاماً ديموقراطياً برلمانياً في سورية. انتقل العظم بصفة دائمة إلى بيروت، حيث عاش ظروفاً مالية صعبة بعد أن صادر حزب البعث ممتلكاته الواسعة. وطبق عليه قانون العزل السياسي وتوفي في بيروت 18 كانون الأول 1965 ودفن فيها وقد كانت في وصيته أن يدفن قرب الإمام الأوزاعي في بيروت وألا يحمل إلى دمشق لكي لا تضطرب المدينة وأنصاره فيردّ عليهم بالرصاص ويسقط قتلى وجرحى.

أثناء إقامته في المنفى دون العظم مذكراته وقد نشرت بعد وفاته عام 1973، ورد في كتاب الأعلام "للزركلي" أن زوجته باعت مذكراته بعد وفاته، ويقال إنه دخلها تحريف وتبديل، ونشر بعضها متسلسلاً في جريدة "النهار". ثم نشرت كاملة في ثلاثة أجزاء عن " الدار المتحدة للنشر"، والزوجة المذكورة هي السيدة " ليلى الرفاعي " والتي انتهجت أسلوباً في الحياة لم يلقى قبولاً من المجتمع الدمشقي، ويرجح الكثيرون أن سيرة السيدة " ليلى " كانت العائق الأكبر في وصول العظم لسدة الرئاسة في سوريا، ولمن أراد الاطلاع على تفاصيل الموضوع سيجد في كتاب السيد"أكرم حسن العلبي" "خالد العظم آخر حكام دمشق من آل العظم، " ضالته.

رحل العظم الذي فاجأ العالم عام 1957 حين توجه للاتحاد السوفيتي، فلقب حينها "بالمليونير الأحمر" وكان لمجهوداته وانجازاته الاقتصادية التي خدمت سورية وأسست لاستقلالها الاقتصادي أن تمنحه بجدارة لقب.. "رائد القومية الاقتصادية ".

عن " باتريك سيل " ومن كتابه "الصراع على سوريا" صفحة 157 ننقل: " كان العظم أحد أقدر الرجال في الحياة العامة السورية، وقد منحه ماضيه وثراؤه ونزعاته الطبيعية فرصاً للسفر، ففاق أقرانه في نموه الفكري، وربما أصبح يحتقر الساسة الضيقة القائمة على المدينة، والتي انغمس فيها معظم السياسيين السوريين، وكان يتمتع بذوق رفيع مهذب ومثقف، مع فهم عميق لمؤلفات الساسة الدولية والمالية الدولية يفوق أياً من زملائه "

وعن "أسعد الكوراني" ومن كتابه الذكريات صفحة /381/ ننقل: "خالد العظم رجل دولة من الطراز المعلم، لاحظت أنه في مجالس الوزارة التي يرأسها كان إلى جانب سيطرته على توجيه المجلس يصل بسرعة وسهولة إلى نتائج الحلول السليمة للمسائل المطروحة عليه، وهو عدا ذلك رجل اقتصاد ممتاز، وقد سبق له أن وضع قانون العمل لما تولى وزارة الاقتصاد في وزارة "سعد الله الجابري" الثانية عام 1946 وبدا جهده الشخصي في وضعه وتوجيهه في إقرار مبادئه، وهو أول قانون للعمل عرفته البلاد العربية ".

معارضون سوريون

■ إعداد: ميس قات

رياض الترك

1 - ولد في حمص عام 1930 ودرس الحقوق وعمل بالمحاماة.

2 - كان عضوا في الحزب الشيوعي السوري ومنظرا أساسيا فيه اعتقل عام 1952 ثم اعتقل مجددا في حملة الاعتقالات التي قام بها عبد الناصر ضد الشيوعيين في سوريا وتم إطلاق سراحه عقب الانفصال.

3 - انقسم الحزب الشيوعي السوري في العام 1972 إلى قسمين أحدهما كان بقيادة خالد بكداش الذي وافق على الانضمام إلى الجبهة الوطنية التقدمية وهو تحالف الأحزاب الذي شكله الأسد كمظلة تثبت التعددية الحزبية في نظامه ولم يوافق رياض الترك على هذا الانضمام لأنه اعتبره مجحفا بحق الحزب ومصادرا لحرية الحزب بالعمل السياسي وقام بانشقاق عن الحزب الشيوعي السوري برفقة العديد من الشيوعيين السوريين وشكلوا حزبا جديدا معارضا للنظام تم تسميته الحزب الشيوعي السوري - المكتب السياسي وتم الاصطلاح على تسميته في الأوساط السياسية "جماعة رياض الترك".

4 - ازدادت معارضة جماعة الحزب الشيوعي السوري -رياض الترك- للنظام السوري بعد دخول النظام في الحرب الأهلية اللبنانية ثم ازدادت شدة بعد إعلان موقف الحزب وشجبه لسياسات النظام في التعامل مع أزمة الإخوان المسلمين وجرائم النظام في حماه وجسر الشغور ودمشق وحلب. والمحاكم الميدانية التي حوكم بموجبها متهمو الإخوان المسلمين.

5 - أمضى رياض الترك فترة سجنه منذ العام 1980 وحتى العام 1998 في سجن انفرادي تحت الأرض.

6 - أعيد اعتقاله في أيلول 2001 وحكم عليه لمدة سنتين ونصف بتهمة بتهمة الاعتداء على الدستور وإلقاء الخطب بقصد العصيان وإثارة الفتنة، ونشر أنباء كاذبة توهن عزيمة الأمة ونفسيتها، وبجنحة النيل من هيبة الدولة. وذلك على خلفية كتابته لمقال بعنوان حتى لا تكون سوريا مملكة للصمت، ونعته للرئيس السوري حافظ الأسد بالديكتاتور على قناة الجزيرة واعتراضه على تعديل الدستور ليناسب عمر الرئيس السوري الجديد بشار الأسد.

7 - بعد السنوات الطوال التي قضاها رياض الترك في سجون الديكتاتوريات السورية تمت تسميته في الأوساط السياسية السورية "مانديلا سوريا".

8 - ألقى رياض الترك في منتدى الأتاسي مداخلة يتحدى فيها المخابرات السورية وبشار الأسد أن يأتوا بدليل واحد يثبت علاقة حزبه بالإخوان المسلمين..

ميشيل كيلو

1 - ولد في مدينة اللاذقية عام 1940 في أسرة فقيرة لأب شرطي وربة منزل.

2 - عمل موظفا في وزارة الثقافة في سوريا.

3 – نشط ميشيل كيلو في لجان إحياء المجتمع المدني في بداية العام 2000 برفقة العديد من النشطاء الحقوقيين والسياسيين ومن أهم ما طرحته اللجان من الناحية الإجرائية:

وقف العمل بقانون الطوارئ وإلغاء الأحكام العرفية والمحاكم الاستثنائية وجميع القوانين ذات العلاقة، وتدارك ما نجم عنها من ظلم وحيف. وإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين، وتسوية أوضاع المحرومين من الحقوق المدنية وحق العمل بموجب القوانين والأحكام الاستثنائية، والسماح بعودة المبعدين إلى الوطن وإطلاق الحريات السياسية، ولاسيما حرية الرأي والتعبير، وتأكيد استقلال القضاء ونزاهته وبسط سيادة القانون على الحاكم والمحكوم.

كما كان قد وقع في نفس العام على بيان ال ٩٩ وبيان الألف.. البيانان الشهيران الذي دعا المثقفون السوريون من خلالهما النظام السوري للقيام بإصلاح سياسي حقيقي..

4 – برز ميشيل كيلو في حراك ما سمي بمنتديات ربيع دمشق إبان استلام بشار الأسد مقاليد الحكم في سوريا.

5 – اعتقل أول مرة في السبعينات ثم في المرة الثانية بتاريخ 14 / 5 / 2006 لمدة ثلاثة أعوام بعد إدانته بنشر أخبار كاذبة وإضعاف الشعور القومي والتحريض على التفرقة الطائفية وتم الإفراج عنه في 19 / 5 / 2009.

6 – شارك ميشيل كيلو في صياغة إعلان دمشق الذي جمع قوى معارضة من كافة أطياف المعارضة السورية في الداخل والخارج عام ٢٠٠٥ وتدعو وثيقة الإعلان إلى إنهاء 35 عاما من حكم أسرة الأسد لسوريا واستبداله بنظام ديمقراطي.

7 – قام مجموعة من النشطاء السياسيين والحقوقيين بتأسيس لجنة دولية لمساندة ميشيل كيلو انضم للجنة ناصر الغزالي وفيوليت داغر وهيثم مناع ومنصف المرزوقي وبرهان غليون

8 – دعم ميشيل كيلو مؤتمر السمير أميس – المؤتمر الأول للمعارضة السورية في الداخل الذي عقد في أوائل شهر تموز 2011.

9 – تم تداول اسم ميشيل كيلو كمرشح لمحاورة النظام إلى جانب العديد من السياسيين الآخرين لكن ميشيل كيلو رفض حضور مؤتمر الحوار الوطني في فندق صحارى الذي دعا له النظام السوري.

10 – ميشيل كيلو هو احد الأسماء المستقلة الممثلة بهيئة التنسيق الوطني لقوى التغيير الديمقراطي في سوريا إلى جانب حسن عبد العظيم وحسين العودات وفايز سارة و21 حزبا وتجمعا سياسيا.

فرج بيرقدار

1 - من مواليد حمص 1951.

2 - درس في كلية الآداب قسم اللغة العربية / جامعة دمشق.

3 - سجن لأول مرة في العام 1978 لمدة 3 أشهر بسبب إصداره كراساً أدبيا برفقة العديد من المبدعين الشباب من اليسار السوري كان من بينهم الراحل جميل حتمل ووائل السواح وبشير البكر ورياض صالح الحسين وغسان عزت وموفق سليمان.

4 – سجن لمدة 14 عاما بسبب انتمائه لحزب العمل الشيوعي المعارض في سجون المخابرات السورية.

5 – قام فرج بيرقدار بمساعدة أصدقائه في السجن بتهريب ديوانه الذي حمل اسم حمامة مطلقة الجناحين الذي طبع سنة 1997 وترجم إلي العديد من لغات العالم.

6 – أفرجت السلطات السورية عن فرج بيرقدار إثر حملة دولية للمطالبة بالإفراج عنه في العام 2000.

7 – حاز فرج على جائزتين أدبيتين عالميتين أثناء وجوده في سجون المخابرات السورية أولهما:

جائزة هلمان / هامت 1998 والثانية جائزة نادي القلم العالمي 1999. حصل أيضاً على جائزة الكلمة الحرة في هولندا سنة 2004. وجائزة أوكسفام نوفيب في هولندا سنة 2006.

وجائزة توشولسكي التي يمنحها نادي القلم السويدي، وقد حصل عليها سنة 2007.

8 – خرج فرج بيرقدار من سوريا بعد الإفراج عنه في العام 2001 حيث دعي للإقامة في ألمانيا.

ثمانية شهور في ضيافة مؤسسة هاينرش بول وذلك في عام 2001 ثم عمل محاضرا لمدة عام في جامعة لايدن "الجامعة الأعرق في هولندا" في قسم اللغة العربية وهو يعيش حاليا في السويد. ما قد يثير الاستغراب أن فرج بيرقدار لم يتح له أن يقرأ أياً من قصائده في أي مؤسسة ثقافيّة سوريّة، ولم يتمكن من الانتساب لاتحاد الكتاب السوريين.

9 – لفرج خمس مجموعات شعرية وكتاب عن تجربته في السجن صدرت عدة ترجمات لبعض كتبه ولجانب من شعره إلى الفرنسية والإنكليزية والهولندية والألمانية والاسبانية والكاتالونية والسويدية، والليتوانية.

ذكريات "يوسف الحكيم"

■ ياسر مرزوق

كتابنا اليوم من دوحة التاريخ السوري الحديث، وإن قلت الكتابات المتعلقة بتاريخ سوريا الحديث، تبقى الكتب التي قدمت عرضاً لتاريخ المنطقة منذ العهد العثماني وحتى انقلاب البعث، نادرة بل قد تكون مذكرات الحكيم الوحيدة التي تملك هذه الميزة، كتابٌ لابد من قراءته لكل مهتم بالتاريخ والاجتماع والسياسة، أتى الكتاب في أربعة أجزاء، عن دار " النهار" اللبنانية، ولن أعرض اليوم لشخصية المؤلف " يوسف الحكيم " والتي مكانها صفحة "وجوه من وطني" في الأعداد المقبلة، بل سأغتنم الفرصة لعرض لصاحب النهار الدار التي نشرت كتابنا اليوم، في تحية لروح عميد الصحافة العربية " غسان تويني " وإن أتت متأخرة...

تحت عنوان "رحل.. فجر النهار"، أعلنت صحيفة النهار- والسوريون يعون جيداً قيمة المطبوعة المذكورة والتي يتبادلونها خفيةً بسبب حظرها المتكرر- التي تملكها عائلة غسان تويني على صفحتها الأولى رحيل "عملاق الصحافة اللبنانية والعربية وعميد النهار ومعلم أجيالها المتعاقبة منذ تولى مبكراً مسؤولياته فيها وباني مجدها وصانع ألق الكلمة والفكر النائب والوزير والسفير والدبلوماسي وصانع الرؤساء والعهود والسياسات في زمن مجد لبنان ومجد الرجال".

ولد تويني عام 1926 وحصل على شهادة البكالوريوس في الفلسفة من الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1945، وفي عام 1947 حصل على الماجستير في العلوم السياسية من جامعة هارفارد في الولايات المتحدة. وعمل محاضراً في العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية في بيروت بين عامي 1947 و1948.

بدأ غسان تويني عمله الصحافي وهو في أوائل العشرينات في جريدة النهار التي أسسها والده العام 1933. وما لبث أن دخل المجال السياسي وأصبح عضواً في البرلمان وكان في الخامسة والعشرين من عمره. ثم شغل مناصب وزارية مهمة وكان مندوب لبنان الدائم في الأمم المتحدة في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات في أوقات عصيبة تخللها خصوصاً اجتياحان إسرائيليان، وينظر إلى غسان تويني على نطاق واسع على أنه "عراب" القرار 425 الصادر عن مجلس الأمن الدولي في 1978 والذي دعا إسرائيل إلى الانسحاب من لبنان.

فقد تويني ابنته نايلة وهي في السابعة بمرض السرطان، وما لبثت أن لحقت بها زوجته الشاعرة "ناديا تويني" بالمرض نفسه، بعد ذلك بسنوات قضى نجله مكرم في حادث سيارة في فرنسا. ووصف غسان تويني غيابه بـ"الكارثة الثالثة في حياته"، التي أن كانت "كارثة" مقتل جبران، ولده الأخير. حينها قال تويني "لم يتركوا لي منه قطعة من جبهته أقبلها قبل أن أواريه الثرى" كما نقل عنه حينها الكاتب اللبناني "سمير عطا اللّه" ورغم كل الألم، وافق غسان تويني، تحت ضغط محبيه والأوساط الشعبية المؤيدة لعائلته على الحلول محل ابنه تحت قبة البرلمان، مشيراً إلى أنها المرة الأولى التي يخلف فيها الوالد أولاده.

مارس تويني السياسة المترفعة عن النزاع على السلطة، السياسة التي تتمحور حول الخير العام والتي يوجد بينها وبين الثقافة ارتباط حميم، في أي اجتماع حكومي كان تويني اللولب والنجم، إنه رجل الساعات الحرجة والمهمات الكبيرة في أي حكومة كان قادراً على تحويل وزارته أياً كانت أهم من كل الوزارات، كان مستعداً لأن يكون نائباً ليصير مجلس النواب في نظره سلطةً أكبر من سلطة الحكومة، هو تكوين فريد يجمع فكر شارل مالك وجاذبية كميل شمعون، ينظر إلى بعيد فتستهويه ثقافة اليونان وتشده عظمة روسيا، يعتد بنسب عربي عريق دون أن يطغى على لبنانيتهُ.

لغسان تويني مؤلفات كثيرة أبرزها "اتركوا شعبي يعيش" وهو عنوان خطاب ألقاه في الأمم المتحدة خلال الحرب الأهلية اللبنانية (1975-1990)، و"حرب من أجل الآخرين".

ويلقب تويني في لبنان بأنه "عملاق الصحافة العربية" و"عميد الصحافة اللبنانية".

غسان تويني.. طوبى لك..

بالعودة إلى كتابنا اليوم والذي أتى في أربع أجزاء، الجزء الأول وتحت عنوان " سوريا والعهد العثماني " يتضمن موجزاً عن آخر أدوار الدولة العثمانية، وتفصيلاً عن التنظيم الإداري الذي تم في أيام السلطان عبد الحميد الثاني، آخر سلاطين الحكم المطلق، وعن حوادث ما بعد الدستور الذي أعلن سنة 1908، يضاف إليها مذكرات الكاتب المكتوبة في حينها عن سورية عامةً وعن اللاذقية وطرابلس وفلسطين خاصةً.

الدور الأول "1300-1579" هو دور التأسيس والفتوحات المتوالية وقد بلغت فيه الدولة العثمانية، بعد مئتين وخمسين سنة من تأسيسها، الذروة في العظمة واتساع الحدود وذلك في عهد السلطان سليمان القانوني، أما الاستيلاء على سوريا فقد تم على يد السلطان سليم الأول سنة1516 بعد قهره للمماليك، فكان هذا التاريخ بداية الحكم العثماني في سوريا.

الدور الثاني " 1581-1839"وهو دور الانحطاط وامتد مئتين وسبعين سنة وانتهى في عهد السلطان محمود الثاني.

الدور الثالث، وهو دور التنظيم وامتد من عام " 1839-1908 " وقد امتد من عهد السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني حتى إعلان الدستور عام 1908، وامتاز بظهور التنظيمات الخيرية والبدء بتطبيقها.

الدور الرابع وهو دور الحكم الدستوري الذي لم يدم سوى عشر سنين ثم قضي عليه بانتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918

تضمن الجزء الثاني تفصيلاً وافياً عن " بيروت ولبنان زمن آل عثمان " تبعاً لما جادت به وظيفة الكاتب في حينه "رئاسة القلم التركي لحكومة جبل لبنان المستقل إدارياً " من تجارب ومعلومات شملت أحداث الحرب العالمية الأولى التي انتهت عام 1918 بجلاء الترك ودولتهم العثمانية نهائياً عن سوريا ولبنان، كما شمل موجزاً عن تاريخ لبنان منذ استيلاء آل عثمان على سوريا عام 1516 مع تفصيل عن نظامه الخاص وحكامه وحياة شعبه في ميداني السياسة والاجتماع، كما تضمن هذا الجزء سرداً لحوادث الإرهاب في عهد جمال باشا قائد الجيش المطلق الصلاحية في كامل المنطقة السورية الممتدة من حدود الأناضول شمالاً حتى حدود مصر جنوباً مع شبه الجزيرة العربية، إضافة لاستعراض نظام المتصرفين الذين عينتهم الدولة العثمانية على مقتضى نظام الولايات وحتى جلاء جيوشها وحكامها واحتلال الجيوش الحليفة البريطانية والفرنسية عام 1918. ومن المثير في هذا الجزء تتبع سير أسر بكاملها وانقراض بعضها واستمرار الآخر لاعباً قوياً على الساحة اللبنانية وحتى الإقليمية.

يحوي الجزء الثالث " سوريا وفجر الاستقلال " موجزاً عن أواخر العهد العثماني وجلائه عن جميع الأقطار العربية وتفصيلاً عن الاستقلال السوري المعروف بالعهد الفيصلي، وفيه نودي بالأمير الشريف فيصل ملكاً على سوريا وجهود السوريين المتواصلة لنيل استقلالهم استقلالاً تاماً مروراً بدخول الجيش الفرنسي دمشق حرباً بعد معركة ميسلون والتي بدأ في إثرها الانتداب على سوريا، ويبتدأ الحكيم هذا الجزء بسرد لإرهاصات الثورة العربية الكبرى موضحاً أسبابها ليصل إلى إعلان الشريف حسين الجهاد المقدس على الترك " أعداء العرب ومغتصبي الخلافة " حسب تعبيره والاستيلاء على مكة والطائف ثم المدينة المنورة، ليصار إلى إعلان الحسين ملكاً على البلاد العربية، ويتوجه ابنه فيصل، بمرافقة الجيش البريطاني لدخول دمشق... ويروي صوراً مؤثرة لانسحاب الجيش التركي والتعرض الذي واجهته شرازمه أثناء تراجعها من هجمات الوطنيين في كل من درعا والبقاع ونواحي حماه وتنكيلهم أشد تنكيل، ثأراً لدماء الشهداء المسفوكة بأمر جمال باشا.

ثم يأتي الجزء الرابع وفيه تفصيلٌ عن عهد الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان وانتهائه، بعد خمسة وعشرين عاماً باستقلال كل منهما استقلالاً تاماً على أساس حكم جمهوري يرد تفصيله في البلدين. بدءاً من دخول الأمير فيصل دمشق مروراً بانعقاد المؤتمر السوري عام 1920 الذي نادى بفيصل ملكاً على سوريا، في حفل حضره جميع قناصل الدول ومن ثم الاحتلال الفرنسي لغرب سوريا وتقسيمه ثلاث حكومات حكومة لبنان الكبير، وحكومة العلويين وحكومة لواء اسكندرون، ليصل الحكيم إلى إنذار غورو الشهير وملحمة احتلال الداخل السوري، وتجزئته أيضاً إلى دويلات، من ثم إعادة توحيد البلاد واندلاع الثورة السورية الكبرى، مستعرضاً لحكومات صبحي بركات، الدامار أحمد نامي، حكومة الشيخ تاج الدين الحسني، ثم إعلان النظام الجمهوري وانتخاب محمد علي العابد رئيساً للجمهورية، ليبدأ عهد التفاهم بين فرنسا والكتلة الوطنية، وقضية لواء اسكندرون، حكومة المديرين، اغتيال الدكتور الشهبندر، سورياً أثناء الحرب العالمية الثانية.. ليصل المؤلف إلى أواخر عهد الانتداب.

الجزء الخامس من الكتاب تحت عنوان " سوريا المستقلة "يتحدث عن الانقلابات والتطورات في الحياة السياسية السورية حتى انقلاب 8 آذار عام 1963 وتسلم حزب البعث للسلطة في سوريا، لكن الكلام عن الجزء الخامس يبقى في انتظار نشره إذ يبدو أن الظرف السياسي في العام التالي لاستلام البعث السلطة في سوريا عام صدور الكتاب لم يسمح بصدور الجزء الخامس، فيختم الحكيم الجزء الرابع بالعبارة التالية " أما الجزء الخامس وهو الأخير من ذكرياتي، فسوف يقدم للنشر في أول فرصة مناسبة، بعون اللّه تعالى " ويبقى أمر الجزء الخامس في عهدة ورثة الحكيم، لنشر الجزء المذكور وإفادة القراء منه..

تتأتى أهمية مذكرات الحكيم أنه اعتاد تدوينها منذ شبابه فأتت ناصعةً صادقة معبرة عن زمانها دون أن يدخل فيها هوىً أو تحيز هو حال المذكرات التي تستكتب بعد تقدم صاحبها بالسن، إضافةً إلى المعلومات والوثائق التاريخية التي وثقها المؤلف قبل الطباعة عام 1964 وتنبع أهميتها أيضاً على اعتبارها تأريخاً مشتركاً للبلدين التوأمين سوريا ولبنان في مختلف العهود "العثماني، الفيصلي، الانتدابي، الاستقلالي "، كما تنبع أهميتها من أن الحكيم أمضى حياته متنقلاً بين القضاء والإدارة والسياسة، لم ينتسب لأي حزب ولم يتأثر بتبدل الحكومات ولم يرتبط بصلةٍ مع أي سلطةٍ أجنبية.

وقد اعتمد الحكيم الأسلوب الأكاديمي الغربي في السرد التاريخي، بعيداً عن استطراد الساسة والآراء الشخصية والجوانب النفسية والعاطفية وهي الميزات التي تعطي لكتب المذكرات نكهة خاصة، لا نجدها في كتب التاريخ، ولم يفلح الحكيم بخلقها والسبب هو الحرص الشديد على الموضوعية والتوثيق، بدقةٍ تفوق بعض المؤرخين...

لعل القارئ أصابه الملل من عبارة أكررها في نهاية زاويتنا الأسبوعية " كتابٌ لابد من قراءته " لكنني سأكررها اليوم مضطراً فكتاب اليوم بالإضافة لمذكرات "خالد العظم " و"أسعد الكوراني " وكتابي " باتريك سيل " الصراع على سورية والأسد والصراع على الشرق الأوسط، مجموعةٌ أوصي بها لكل مقتصد يبغي تكوين أرضيةٍ معرفية عن التاريخ السوري الحديث، أما المجتهد فهو بغنى عن وصيتي..

الإرث الكارثي لنظام الأسد

كيف دمر نظام الأسد سوريا وشعبها بشكل منهجي؟

■ خالد الحروب

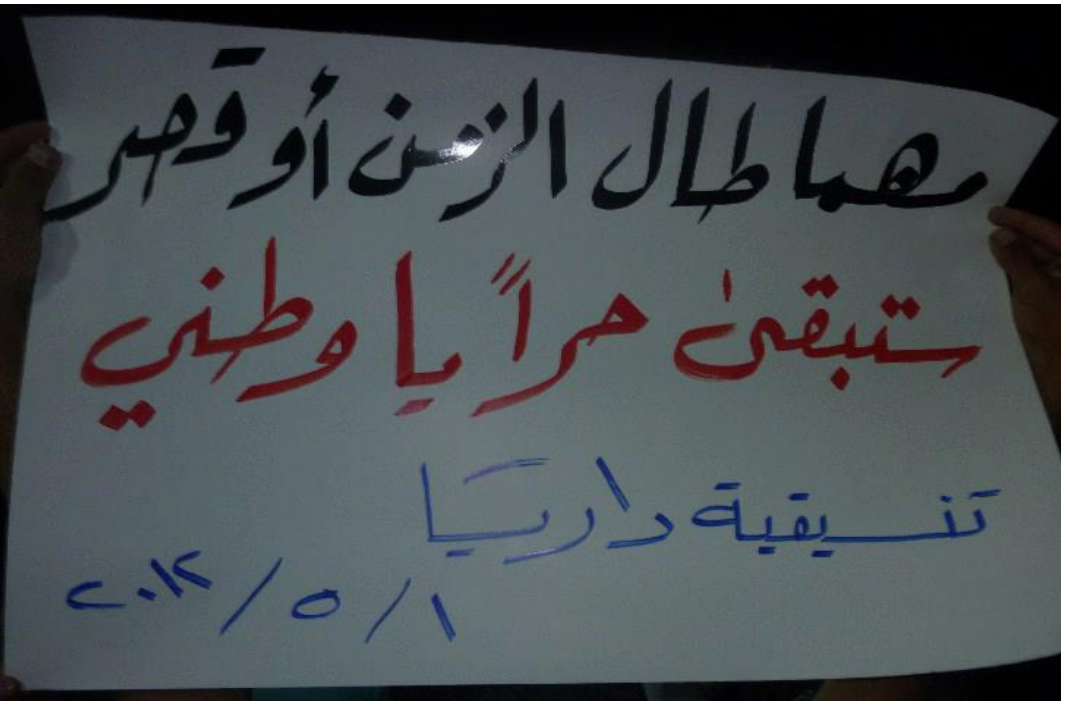

يرى المحلل السياسي المعروف خالد الحروب أن نظام الأسد يتحمل مسؤولية الوضع الراهن في سوريا، لأنه عمل منذ انطلاق الثورة السلمية على عسكرتها وتشويه أسلوبها السلمي، كما يتحمل مسؤولية تكريس الطائفية وتدمير النسيج الوطني السوري، علاوة على التدخل الخارجي بهذه الصورة، إذ كان رده الوحيد على مطالب الحرية والكرامة هو المزيد من الدماء وسلسلة لا تنتهي من المجازر والاستئساد على الأطفال وذبحهم في أسرتهم.

سلسلة الكوارث التاريخية التي جلبها نظام الأسد الأب على سوريا وعلى العرب خلال العقود الماضية يُتوجها نظام الاسد الابن بإضافات كارثية وإجرامية سوف تدخله الصفحات السوداء في التاريخ. الآلة الدعائية للنظام وأبواقه، الذين يطبلون ويزمرون على وتر "الممانعة" و"المقاومة" وشعارات استغباء الناس يعيدون تدوير الكوارث والجرائم التي ارتكبها النظام، ثم يتهمون بها الشعب السوري نفسه وثواره.

النظام يخلق الكارثة ويقوم بتصنيع الجريمة المادية والسياسية والأخلاقية ثم يتصايح ضد معارضيه متهما إياهم باختلاقها، ويبدأ بالنواح والندب الحاراتي والتجييشي مدعيا البراءة والطهر. ليست هذه عبقرية في الأداء، بل هو انحطاط أخلاقي مطلق تنسخه الدكتاتوريات بعضها عن بعض في تكرار يستدعي الاشمئزاز أكثر من أي شيء آخر.

لكن العبقرية التي يجب أن يُشهد للنظام فيها هي استمراره التلاعب في توظيف أصوات كثيرة ما زالت مخدوعة بقصة "ممانعة النظام" و"المخطط الاستراتيجي"، الذي يستهدف إسقاطه. لنتأمل جردة الكوارث التي "ابدع" الأسد الابن في جلبها على سوريا والعرب في زمن قياسي ويصر مناصروه على ادارة ظهورهم لها وغض النظر عنها، وهي حقائق سجلها الواقع ولا يزال.

نظام الأسد أراد عسكرة الثورة السورية

الكارثة أو الجريمة الأولى، التي ارتكبها النظام تتمثل في عسكرة الثورة السورية ودفعها دفعا إلى السلاح. لا أحد عنده ذرة من الاخلاق يمكن أن يجادل في إصرار الثورة وعلى مدار أشهر طويلة على سلمية الأداء وسلمية الأدوات.

كان السوريون وببساطة يستلهمون التجربتين التونسية والمصرية حيث أسقطت الثورات هناك النظامين الديكتاتوريين عبر الاحتجاج السلمي والمظاهرات ومن دون اللجوء إلى السلاح. الحس الشعبي العام، فضلا عن الوعي النخبوي، كان يدرك في كل هذه الحالات وعلى رأسها الحالة السورية ان استخدام السلاح هو امنية النظام والاجهزة الأمنية، وهو ما تريد هذه الاجهزة توريط الناس فيه. فما أن يتم استخدام قطعة سلاح واحدة حتى تنطلق فيالق وفرق الامن والجيش والدبابات لتسحق "العصابات الإرهابية المسلحة"، كما يدعي إعلام النظام وأبواقه.

ومرة أخرى تنسخ الدكتاتوريات عن بعضها البعض هنا إذ تستفزها حركات الاحتجاج السلمي لأنها تكبل يدها الأمنية المتوحشة وتسحب منها مسوغ "الضرب بيد من حديد". ولها فإن الممارسة التقليدية هي توفير السلاح في الشارع واغراء أية عناصر باستخدامه وسط الاحتجاجات السلمية، وإن لم ينجح هذا فلا بأس من قتل بعض عناصر الأمن هنا أو هناك واتهام "العناصر الإرهابية" و"المتسللين" بذلك، وبهذا يتم قمع الثورة السلمية بأعتى قدر من البطش المسلح. النظام السوري اتبع هذا النص حرفا بحرف، وعلى مدار أشهر طويلة من الاحتجاج السلمي أمعن في القتل والبطش وفي عسكرة الاحتجاجات، حتى صارت الثورة مسلحة فعلا.

وهنا دخلت سوريا والشعب السوري نفقا مظلما، لأن فتح الساحة السورية للعمل المسلح كما هو الوضع حاليا يعني خروج السيطرة عليه من يد الدولة الباطشة نفسها، ومن يد الثوار. نظام الأسد هو الذي يتحمل هذه الجريمة الكبرى، وهو الآن وأبواقه يتصايحون بأن هناك جماعات مسلحة وقاعدة وسلفيون جهاديون يقاتلونه في سوريا. النظام ولا أحد غير النظام هو الذي تسبب في الوضع الراهن.

نظام الأسد كرس الطائفية ودمر النسيج الوطني السوري

الكارثة أو الجريمة التاريخية الثانية التي ارتكبها نظام الاسد الابن هي إعادة إنتاج جريمة من ذات الصنف ارتكبها الأسد الأب، وهي تكريس الطائفية وتدمير النسيج الوطني السوري. ومرة أخرى هناك سوف تسجل الوقائع التاريخية على الأرض كيف أن الثورة والناس العاديين كانوا يضعون يدهم على قلبهم في كل خطوة يخطوها في الشهور الأولى، نافيين عنها أي بعض أو شعار طائفي.

كان الجميع مستحوذ بالتركيز على سوريا والسوريين وبأن الثورة فيها الكل وتعبر عن الكل، وهو ما كان ولا زال الواقع وكل ذلك هروبا إلى آخر الشوط من اية تصنيفات طائفية. لكن النظام الذي ترعرع على سياسة فرق تسد وتوظيف هذا الطرف السياسي أو الطائفي ضد ذاك، سواء في سوريا أو لبنان، سحب من الرف وسيلة التسعير الطائفي والاحتماء بالطائفة.

وهكذا ومرة أخرى بدت العقلانية والحرص الشديد النابع من حس السوريين وخشيتهم على بلدهم في واد لا علاقة له بواد العفن السياسي الذي يرتع فيه النظام. شغّل النظام شبيحته لإمعان القتل والتقتيل الطائفي في المدن والقرى المختلطة طائفيا. وسرعان ما برزت وتجذرت خطوط التماس الطائفي.

وبطبيعة الحال تفاقم الخطاب الطائفي، لأن هناك جماعات أصولية تقف على الحدود الجغرافية والفكرية تفرك يديها كي تنزلق الامور في سوريا على ذلك النحو لأنها وإن كانت تختلف مع النظام طائفيا وإيديولوجيا، إلا أنها تلتقي معه في العفن العقلي والطائفي وتقسيم الناس والأوطان بحسب التفاهات الطائفية. نظام الأسد مسؤول تاريخيا عن مستنقع الطائفية الذي يدفع الجميع إليه في سوريا، ومع ذلك يتصايح هو وأبواقه متهمين الاخرين بالطائفية واستخدامها.

الأسد يتحمل مسؤولية استدعاء التدخل الخارجي

الكارثة أو الجريمة التاريخية الثالثة التي يرتكبها نظام الأسد الابن هو استدعاء التدخل الخارجي بهذه الصورة أو تلك. لم يستمع النظام للإحتجاجات السلمية، ولم يلق بالا لأية مبادرات سياسية إن من قبل الجامعة العربية أو الأمم المتحدة، ولم ينظر بأي قدر من الجدية للمعارضين والثورة بملايينها واعتبرهم عملاء للغرب وارهابيين وسوى ذلك.

كان رده الوحيد على مطالب الحرية والكرامة هو المزيد من الدماء وسلسلة لا تنتهي من المجازر والاستئساد على الأطفال الرضع وذبحهم في أسرتهم. يحتمي النظام بنظام نظير له في انعدام الحس الإنساني والأخلاقي وهو نظام موسكو.

لكن هذا الاحتماء لا يمكنه بطبيعة الحال منع سيل الصور اليومية التي تنقل مستوى الجرائم والمجازر التي يرتكبها النظام، ولا يأبه لها. عدم الاكتراث بأثر الاعلام يدلل على غباء اضافي عند نظام الأسد الفاشي إذ يظن أن بإمكانه النجاة من الثورة والبقاء في الحكم رغم كل الدم الذي أريق. ثم يظن أن الرأي العام العربي والعالمي سوف يظل صامتا أمام هذه الجرائم بسبب الحماية الروسية.

العالم لا يعيش في زمن الحرب الباردة حيث يستطيع دكتاتور مثل بول بوت أن يقتل مليونا أو اثنين من شعبه في ما العالم مشلول الحركة يراقب ولا يستطيع التدخل. سوف تنتهي الأمور في سوريا بتدخل خارجي بسبب إجرام النظام وتعنته ورفضه لكل الحلول والمبادرات السلمية. نظام الأسد هو المتسبب في ذلك، لكنه يدور إعلامه وأبواقه في كل مكان ويتهم الآخرين بما اقترف من جرائم.

عن موقع قنطرة 2012

مراجعة: لؤي المدهون

أسواق دمشق القديمة

■ بلال سلامة

دمشق، العاصمة الأعرق في التاريخ، مهد الحضارات، وإحدى أقدم مدن العالم. تأسست هذه المدينة في الألفية الثالثة قبل الميلاد. وتميزت منذ القدم بأبنيتها وأماكنها المقدسة التي ترجع لعصور قديمة. تضم دمشق القديمة الأحياء العريقة والأسواق والخانات والمساجد والكنائس والقلعة والسور الروماني التي تمتاز جميعها بأصالتها.

من يسير في أسواق دمشق القديمة لا بد له أن يشعر بعبق التاريخ في شوارعها وعمارتها الفريدة المتميزة بسقوفها المعدنية المقنطرة و المحدبة و الهرمية. منها ما زال قائماً إلى اليوم ومنها ما أزيل كسوق المسكية المختص ببيع الكتب والعطورات العربية حيث كان يخفي أحد جدران الجامع الأموي، وكذلك سوق الخجا الذي أزيل لإظهار جدار قلعة دمشق.

بعض هذه الأسواق أخذ اسمه من المهنة المنتشرة فيه مثل سوق الحدادين وسوق الخياطين أو المنتج الذي يباع فيه كسوق الحرير أو من ولاة دمشق كسوق مدحت باشا وسوق مردم بك.

من أشهر أسواق دمشق القديمة سوق الحميدية، وهو سوق قديم جداً يعود إلى العهد الآرامي قبل الميلاد، ولقبه القديس بولس بـ "الشارع الطويل". كان اسمه في السابق سوق الأروام أو اليونان، ثم أطلق عليه اسم سوق الحميدية نسبة إلى السلطان عبد الحميد الأول. وقد بني السوق على مرحلتين، وأخذ شكله الحالي عام 1780، وتباع فيه منذ القدم كل أصناف البضائع وأهمها الصناعات التراثية كالنحاسيات والموزاييك والمصدفات والتحف والتراثيات والذهب والأقمشة الحريرية والقطنية والمطرزات وكذلك الصناعات التراثية السورية والديباج والمفروشات والسجاد.

يبدأ سوق الحميدية عند منطقة الدرويشية الكائنة عند التقاء شارع النصر مع شارع الثورة، ويمتد السوق لمسافة الميلين تقريباً. يقع الجزء الأول منه بجوار قلعة دمشق، وبه العديد من المساجد والمباني التاريخية العريقة وتصطف على جانبيه المحلات على طابقين. يمتد سوق الحميدية وصولاً إلى أحد فروعه المسمى سوق المسكية ثم يصل إلى بقايا أعمدة ضخمة رخامية مزينة بكؤوس مزخرفة من الرخام هي ما بقي من معبد جوبيتر الدمشقي، ومنه إلى ساحة واسعة أمام البوابة الرئيسية للجامع الأموي.

تتفرع عن سوق الحميدية أسواق كثيرة تزيد على العشرين سوق تاريخي عرف كل سوق منها باسم حسب مهنة السوق وتخصصه مثل سوق السروجية حيث تصنع السروج - سوق الصاغة والذي كان يطلق عليه اسم سوق القوافين وكان يبيع الأحذية سابقاً قبل أن يختص ببيع الذهب فيما بعد - سوق المناخلية المتخصص ببيع المناخل ويعود إلى العهد المملوكي - سوق العصرونية المتخصص ببيع مستلزمات البيوت والمطابخ ولذلك تكثر فيه النساء - سوق الجزماتية حيث تباع الجزم - سوق العرائس حيث تباع كل ما تحتاجه العروس قبل زفافها - سوق القباقبية حيث تصنع القباقيب - سوق الحرير - سوق الصوف - سوق القطن - سوق الخياطين وغيرها.

ولا يمكن للمرء أن يذكر سوق الحميدية دون أن يتطرق لذكر البوظة العربية التي تباع في عدة محلات هناك من أشهرها (بكداش) وهو المحل الوحيد في دمشق الذي يبيع البوظة المصنوعة يدوياً بطريقة الدق والذي اعتاد أهل دمشق وكل زائري سوق الحميدية على زيارته منذ أواخر القرن التاسع عشر.

وبالحديث عن سوق الحميدية، لا بد أن لنا أيضاً أن نذكر سوق البزورية وهو أحد الأسواق التي تتفرع عنه، ويقع على شرق الجامع الأموي. يمتد سوق البزورية بين قصر العظم وسوق الصاغة القديم شمالاً، إلى سوق مدحت باشا جنوباً، وهو مغطى بساتر قوسي معدني. قبل أن يأخذ هذا السوق اسمه الحالي عرف في السابق باسم سوق القمح، ثم سوق الدهينانية، حيث كانت تصنع فيه الدهون كدهن اللوز، ثم عرف باسم العطارين إذ كانت تباع فيه الأعشاب العطرية التي تستخدم في الطب الشعبي العربي والعطور المستخرجة من الورود الدمشقية. يحتوي السوق على العديد من الخانات الأثرية والمباني التاريخية والحوانيت الصغيرة التي تبيع مواد العطارة والزهورات الشامية والتوابل والسكاكر والحلويات والفواكه المجففة وصابون زيت الزيتون وصابون الغار.

يضم سوق البزورية إلى جانب محلاته بناءين قديمين هما خان أسعد باشا، والذي يعد أكبر وأكمل خانات دمشق القديمة، وحمام نور الدين الشهيد وهو أشهر حمام دمشقي مازال يستقبل الزائرين إلى اليوم بتقاليده السورية القديمة المعروفة.

ومن الأسواق القديمة المشهورة أيضاً في دمشق سوق مدحت باشا وسمي بالسوق الطويل. أخذ هذا السوق اسمه نسبة إلى والي دمشق مدحت باشا الذي بني في عهده في عام 1878. اشتهر سوق مدحت باشا عبر التاريخ ببيعه للصناعات النسيجية، والأقمشة الحريرية، وكذلك محلات صنع وبيع النحاسيات والموزاييك والمصدفات، ومحلات بيع القهوة والبن، والمكسرات، ومحلات العطارة والأعشاب والسيوف.

سوق مدحت باشا يتألف من قسمين الأول مسقوف تمتد على جانبيه الحوانيت والمحلات ذات الأقواس والخانات الأثرية، وتتفرع منه أسواق متخصصة كثيرة. وفي الجزء المكشوف من سوق مدحت باشا وقبل باب شرقي الأثري يوجد العديد من الكنائس العريقة والهامة مثل كنيسة حنانيا. وفي وسطه تقريباً مئذنة الشحم. يضم سوق مدحت باشا العديد من التفرعات المليئة بروائع التاريخ مثل قصر النعسان ومكتب عنبر.

يحاذي سوقَ مدحت باشا شمالاً سوقُ الحريقة الذي عرف سابقاً بسيدي عامود نسبةً للوالي سيدي أحمد عامود الذي كان مدفوناً فيها، أما اسم الحريقة فجاء بسبب الحريق الذي شب في السوق عام 1925 وأدى إلى دمار كبير في البيوت والآثار المعمارية، عندما قصفت القوات الفرنسية دمشق بقذيفة مدفعية أطلقت من قلعة المزة على قبة حمام الملكة في سيدي عامود، فامتدت النيران إلى البيوت والمحلات المجاورة، والتهمت زقاق المبلط وراء سوق الحميدية، ثم زقاق سيدي عامود وبعضاً من سوق مدحت باشا.

أما حي سوق ساروجة فيعد أول منطقة من دمشق بنيت خارج سور المدينة في القرن الثالث عشر الميلادي، واسم هذه المنطقة يعود إلى القائد صارم الدين ساروجة. يتألف حي سوق ساروجة من المحور الرئيسي وهو السوق أو السويقة ويتفرع عن هذا المحور عدد من الحارات التي يتفرع عنها أيضاً عدد من الأزقة الثانوية. يقع سوق ساروجة إلى الشمال الغربي من قلعة دمشق، ويحده شرقاً سوق الهال القديم ومن الجنوب البحصة والسنجقدار، ومن الغرب البحصة البرانية والشرف الأعلى. في القرن التاسع عشر ضم حي سوق ساروجة أربعة حمامات هي الورد – الجوزة – الخانجي – القرماني. وكذلك وجدت فيه أربعة أفران وخمسة عشر مسجداً وطاحونة وعدد وفير من السبلان.

هذا وضمت دمشق الكثير من الأسواق الأخرى ومنها سوق الذراع الذي يبيع الأقمشة ويتفرع عنه سوق أطلق عليه اسم (تفضلي خانم أو تفضلي يا ست) نسبة لبيعه الأقمشة الحريرية والعباءات النسائية وأدوات الزينة. ويوجد أيضاً سوق اسمه سوق السلاح حيث كانت تباع فيه الأسلحة قديما، وسوق الغرابين الذي يبيع الغراء. وهناك سوق اسمه سوق الجمعة وسوق الأحد نسبة إلى اليوم الذي يفتح فيه.

ومن الأسواق أيضاً سوق القوافين للأحذية، وسوق الزرابلية للزرابيل وسوق القيشاني للوازم الخياطة، وسوق التبن وسوق الخيل، وسوق الغنم الذي اعتاد أن يبيع فيه العرب البدو أغنامهم ويشترون بثمنها ما يحتاجون من سلاح وغذاء. كما يوجد سوق السنانية ويمتد من باب الجابية حتى سوق النحاتين ويبيع الفرو والصوف، أما سوق النحاتين فيمتد لغاية الباب الصغير ومعروف بصناعة شواهد القبور واللوحات الرخامية.

أسواق دمشق جزء من تاريخها، شهدت معها سنوات الرخاء مثلما شاطرتها سنوات الشقاء، ولكنها ستبقى شاهدة على تاريخ واحدة من أعظم المدن في العالم مثلما أنها جعلت من هذه المدينة ملتقى لمختلف حضارات هذا العالم. ستستعيد دمشق مكانتها المسلوبة وستستعيد أسواقها ألقها الضائع.

يقول الشاعر خير الدين الزركلي: بلد تبوأه الشقاء فكلما... قدم استقام له به تجديد

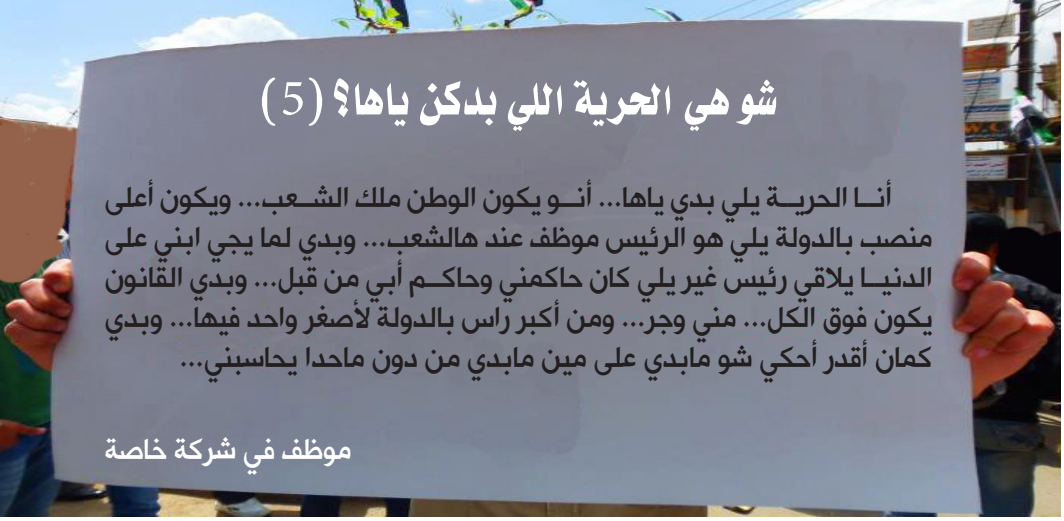

فدوى روحانا

أشعر بامتعاض شديد من عجزي، عجزكم، عجزنا، عجز العالم بأسره ازاء أنهار الدماء المتدفقة في سوريا.. يا لهذا العالم الوغد..

بكري نيربية

عرينـي يا حبيبتـي من وطني الـذي نزح مني وأبقانـي كأوراق شجرة الزيتون حين يأتي الخريف ما تلبث وتتساقط أرضًا، وتمر عليهـا أحذية عابري السـبيل وتذبل، والبسـيني كل قطرة دم نزفت لتلملم كل ورقة سقطت، فقطرات دمائهم هي وطني.

رباب البوطي

وحدهم أطفال سـوريا يمثلونني.. وحدها أمنياتهـم البريئة تجعل العمر عيد.. دموعهم تجفف الماء من جسـدي وجراحهم تفتتني إلـى بقايـا.. أمـا دمائهـم فهـي الحقيقـة الكاملة لنزيـف البلاد.. كلماتهـم / صرخاتهم / أغانيهـم / رجاؤهم / هتافاتهم.. إيماني ومعتقدي..
كل روح باقية تطيّل مـن عمري.. وكل رحيل دبوس يُغرز في شرايينـي.. إن انتهى أطفال سـوريا ننتهي.. فانسوا المناصب والحياة الدنيا والآخرة معا.. وكونوا لأرواحهم شـجر السنديان العالي.. سوريا يدراً الموت عن وهج الحياة..

رشا عمران

سـامي الكيـال الشـاب الحمـوي المثقـف كان بطرطوس عم يزور صديقه الطرطوسـي المصاب.. راح نام بفندق من فنادق طرطوس.. اعتقلوه من الفندق واعتقلوا صديقه الطرطوسـي المصـاب مـن بيته.. نظام بيحب الوحدة الوطنيـة كتير.. ما بيفرق بين حموي وطرطوسـي ولا بين سني وعلوي بيعتقلهن وبين ما كانوا على أرض الوطن.. نظام وطني أخو أختـه.. الحرية لسامي الكيال ولنور قاسم ولكل ولاد البلد.. الحرية للبلد..

نانا آزادي

فقط في سـلميّة.. يستشـهد شـاب إسـماعيلي.. في تشييع شهيد سنّي.. في مقبرة للجعفريّة..
يا الطائفيّة مانك متنا..

حكم البابا

عندمـا يدخل بيتك قاتل، فمن الطبيعي أن تمسـك بسـكين المطبخ لتواجهـه، ومن العته أن تمد يدك إلى مكتبتك لتخرج كتاب "دع القلق وابدأ الحياة" وتقرأ له مقاطع منه..

حازم العظمة

بقيَ هذا النظام يزعم تمثيل الريف زهاء خمسـين سنة.. انظروا اليـوم: هذا هـو الريف الـذي زعمتم تمثيله لخمسـين سـنة.. (انطلاقًا مـن اللوائح الباذخة في فنادق الخمـس النجوم).. هذا هو الريف الذي تقصفونه بلداً بلداً وقرية وقرية.. هو نفسه الذي نهبتموه لخمسين سنة.. ولا يكفي أن تعيدوا المسروقات..

هالة العبدالله

الكذب سـوس الثورة.. وهو للأسـف متوفر جـداً فردياً كان أم جماعياً..

الشيخ رائد صلاح

إلى الذين يقتلون أهلنا في سـوريا ويزعمون نصرة فلسطين، نقول: إن شعب فلسطين لا يرضى تحرير فلسطين على حساب دماء أطفال سوريا.

خولة دنيا

المعارضـة تبحث المرحلـة الانتقالية.. والداخـل يبحث مرحلة الصمود لتجاوز حرارة تموز..

إيمان جانسيز

وغداً.. سـتتفتح حدائقنـا أصابع.. حيث دفن شـهداؤنا.. حيث تحولت الأراجيح إلى مشانق.. وستثمر الأشجار عيونا ناظرة إلى السماء..وستطوف الأرواح في دهاليز الحدائق تستفقد الأحياء.. وستبكيهم الريح.. وتخمش خديها كأرملة حزينة..

آية جمال

هلق سـؤال ببالي.. ممكن يكون من منجزات الثورة انو نصير فيـها بعد نقرأ كتّب حديثـة وروايات جديدة بدون ما نفكر من وين بدنا نجيب حقها؟!.. أمين معلوف روايتو سـعرها 7 جنيه اسـترليني.. هيـك فهمت مـن المكتبة.. يعنـي ممكن تصير القراءة متاحة للجميع؟!

ياسين الحاج صالح

تفجـرت الثورة طلبـا للحرية، ثم تحولت إلـى معركة للتخلص مـن نظام مجـرم. طلب الحرية أرفع قيمـيا، لكن التخلص من مجرم أولى وأوجب..

خضر الأغا

إذا حـدث مكـروه لهذه الثورة، سـوف أقف علـى أعلى مرتفع، وأدعو الله أن يبيد هذا العالم..

نايل حريري

أحد أصدقائي "الشـعبيين" على فيسـبوك كتـب تعليقاً حصد 500 لايـك، ثم بعد نقاشـات وجدالات ومناوشـات قام بنشـر اعتذار عن الخطأ الذي ارتكبه في التعليق السابق، وحصد نفس اللايكات ال 450 مجددا!..

جورج دوميط

العصيان المدني.. يسقط فزلكة قانون الإرهاب..

دلير يوسف

مثل الحب، لا تأتي الثورة مرتين إلا فيما ندر.. فاستغلها..

رضا أتاسي

لن يهزم شعب فيه هؤلاء الأمهات.. من أعظم القصص بطولة قصة هذه الأم والتي لا تملك عندما تسمعها من أن تسيل دموعك مدراراً.. وقد سـمعتها من صديقة الأم مباشرة.. وحيدة يستشهد ابنها داخل البيـت من القصـف وهي في منطقة داخل حمـص محاصرة.. فتقوم بنفسـها بحفر قبر لابنها قرب سـريرها.. وعندما استطاعوا الوصول إليها بعد سـبعة عشـرة يوما وأرادوا إخراجها لم تـرض إلا أن تأخذ ابنها معها وتدفنه في قبر يليق بها فحفرت وأخرجته واحتملته معها ولم يتغير.. وله رائحة تفوح منه لجمل بكثير من رائحة المسك.. فهل رأيتم أو سمعتم عن شبه لهؤلاء الأمهات..

جمال صبح

اغتنم خمسـاً قبل خمس: أهمها: ثورتك قبل معارضتك!!!..

سمير ذكرى

انتباه.. انتباه: متحف حلب قد أفرغ.. يعني سرق وبالطبع متحف حمص وكذلك حماه.. كارثة جديدة بكم يا سـيادات لكن ماذا نفعل لنوقف هذه الجريمة المروعة؟!.

نذير الجندلي

كونـك علمانـي أو ماركسـي أو حتى بدون ديـن.. فحريتك لا تسمح لك بالمس أو الاسـتهزاء بأي من تلك الأديان.. وخلونا عم نحكي بالرواء..

ناندا محمد

سـنة على استشهاد إبراهيم القاشوش..يوم انتزعوا حنجرته.. وكأنه البارحة.. إلى اليوم لم يصلح بشار حرف ال: س..

فادي أبازيد

«ضمان حقوق الأقليات».. «الشـعب الكـوردي».. وآخر صرعة: «الشعب التركماني»!!.. شو هالسوريا الجديدة اللي عم ترسمها المعارضة؟!.. الله يكسر ايديكن لوين آخدين سوريا؟!.. كل يوم عم تثبتولنا أنكن ما بتعرفوا الشعب السوري.. وما بتحترموه!!.. اسمنا «الشعب السوري».. «الشعب السوري»!!..

سالي عبيد

بقا يا سـيدي هدول المعارضة شـديدي المعارضات للطروحات المعروضـات اللي ممكن تتعارض ومصالـح هيئات المعارضة وتشكيلاتها الضيّقة رغم عرضها..

محمود محمود

فـي المعانـعة: لو كانت الشـعوب العربية حرّة، ومـا ابتُليت بهذه الأنظمة المجرمة الخائنة، لما احتُلت فلسطين..

رشا عمران

بيتحدوا ما بيتحدوا.. بيتحدوا ما بيتحدوا.. بيتحدوا ما بيتحدوا.... يا حزركن كم وردة بيلزملنا لنعرف إذا بيتحدوا أو ما بيتحدوا؟

وائل ماك

ليسـت المشـكلة إلياس الثورة زي النزاع الطائفي، بل إلياس النزاع الطائفي زي الثورة..

رندة حسين

أعلن انشـقاقي عـن الطائفة السـنية، أنا مسـلمة وفقـط، أعلن انشقاقي عن القومية العربية، أنا سورية وفقط، أعلن دعمي للثورة طالمـا بقيت ثورة وفقط.. أعلن أني سـأعارض النظام والمعارضة ومن سـيحكم سـوريا.. يعني معارضة (هيك خالف تعرف) وفقط.. أعلن أني مع الحق وفقط وأني ضد الباطل وفقط.. و يلعن الجهل والتخلـّف والنظام وكل الظروف البيئيـة والديموغرافية والتاريخية والسياسية والشيطانية اللي وصلتنا لهالمواصيل.

عهد زرزور

أن تكون منحبكجياً.. مو إنه تحب بشـار الأسد، لا!!.. أن تكون منحبكجيا، هو أن تحب أحدا أو مجموعة بنفس الغباء والانصياع والعدلة الذي يستخدمها محبين بشار الأسد، قياسا!..
أن تكون شـبيحاً.. مو إنه تشـبّح لعيون بشار الأسد، كمان لا!!.. أن تكون شـبيحا يعني أن تهتف لفكرك ومصالحك ومعلميك وتطبـل لها / لهم.. ثـم ترفع السـلاح و / أو القلم وتمنع من يخالفك الرأي من التعبير، بالمناسبة أي رأي!..

يامن حسين

الشـيخ الدومانـي يلي أكلنا خبز وملح سـوى، والكان عم تضحك عيونو لمـا عرفنا من كل الطوائف.. الشـيخ الدومانـي اللي قلنا بـس تفوتو عالسـجن رح يحاولـو يحولوكم لوحـوش طائفية بمسـباتهم القذرة أوعاكم تنجروا.. الشـيخ الدومانـي اللي قلنا السـوريين ولاد لنفس الام اللي هي سـوريا.. الشيخ الدومانـي اللي بوسلي كتفي وبوسته راسه.. نسيت اسمه بس بعده وجه منور متل وجه الصبح.. شـيخي ببلد كتار متلك فيها مهما يكون في دمار بتتعمر.. شـيخي ببلد يمكن انت هلق مستشهد كرامال حرّيتها.. جايي صبح يغسّل وجهها.. شيخي أنا من طائفتك

زياد ماجد

الحرّية أو لا شيء!.. يمكن لشعار بسيط كهذا حوّلته أيادٍ في الليل إلى غرافيتي على جدار في القاهرة أو دمشـق أن يلخّص عاما من الثورات والتجرّكات والصدامات والتضحيات. ويمكنه أن يلخّـص أيضا عامـا مـن الرعب الذي أصاب المسـتبدّين المخلوعيـن منهم أو الذيـن يحرقون الأرض والنـاس تأجيلا لسقوطهم وطيّ صفحاتهم البائسة.. "الحرّية أو لا شيء!"..

رزان غزاوي

بكره البوليـس والجيش (في "جيش" واحد بالعالم بس بحبو) والأمـن بالمطلـق، بس للمالسـة: قـوات حفـظ النظام لازم تنسمى بعد الثورة: "قوات حفظ اسقاط النظام"..

زملكا الياسمين

غاب الياسـمين عـن الياسـمين.. قصفوا الأسطورة.. بلد الياسمين..

شباب الياسـمين يقدمون دمائهم هدية.. نحن نعد الفطور وهم بانتظار المجهول!!..

وضعـوه على التابوت وقالوا له أنت شـهيد ونحن سنلعن خوانك..

قتلوه وبعـد ما قتلوه.. قتلو كل ياسـمينة من حوله..

أخـذوا منهم أجسـادهم ولكـن غبائهم لا يعرف أن أرواحهم تبقى حرة في السماء..

زملكا تنادي الله يلعن خوانك فيأتيها صوت الخائـن.. صمـت كبيبيـر.. الله اكبـر في واحد عايش!!..

صبـرا آل زملـكا فإخواننـا ببابـا عمـرو والخالدية سـبقونا ولـولا تخاذلنـا وصمتنا ما تفاجئنا بحالنا..

عـذرا سـوريتي.. فرجالـك أصبحت أشـلاء رجال!!!..

إن الليل زائل.. إن الليل زائل..

حسام لبنى

لست بقادرة على النسيان والذاكرة القصيرة ليست لي، مع أن القلب الكبير يسامح.. والثورة أوسع وتتّسـع لجميعنا.. لست قادرة على سماع من يبكي الوطـن اليوم وقـد هاجمني مطولا لأني تضامنت مع درعا منذ عام ونيف.. وصرخت بعالـي الصوت يوم مظاهـرة الحميدية لحرية وطني وبكيت يوم إستباحوا بانياس، وقد صرخ عاليـاً وقتها صافعاً إياي بحماقـات مثل: لماذا لا تفعلون شـيئا لفلسـطين.. ووين كنتو لما صرخو مجاعة ببلد بحياتي مو سمعانة باسمو..

يومها أحسسـت بفجاعـة أن تصرخ لغيرك وتنسى للحظة سوريتك..

لست قادرة أن أسمع أو أن أستوعب، فذاكرتي تختـزن من الأسـى.. بقدر ما تختـزن من فرح الولادة المنتظرة.. لسـت قادرة على اسـتيعاب أنكم مـا زلتم تعتبروني صديقـة.. وتنتظرون منـي نفس الكم من الصدق.. سـأكون صادقة معكم لمرة أخيرة..

يا صديق / ة الأمس.. لا نحن لا نشبه بعضنا حتى لو لاحقتنا الذكريات..

أعتذر.. إذ يبدو أن قلبي ليس كبيراً كالثورة.. وإني أكره وأحقد أحياناً.. فأنا أيضا بشر..

لا بأس.. فسوريا تتغير ونحن نتغير معها..

والحريـة والحق حـق لنا كما هـو حق لكل شعوب العالم..

دماء الشـهداء تسـكنني وحلم أبـي ما زال صامداً.. الثورة مستمرة.. وسنكون..

شام داود

الأطباء الميدانيون... جنود الثورة المجهولون

حوار مع طبيب ميداني من ريف دمشق

■ سعاد يوسف

عشرات الجرحى سقطوا جراء القصف على درعا البلد...

شهيدان وسبعة جرحى جراء إطلاق الرصاص الحي على المظاهرة التي خرجت في زملكا...

عناوين للأخبار تطالعنا كل يوم وباتت شبه اعتيادية، نرتشفها مع قهوة الصباح أو نبتعلها مع وجبة الغذاء، دون أن نفكر ربما بمن هم خارج الإطار الاعتيادي لهذه الأخبار اليومية: إطار القذائف وإطلاق النار والشهداء والجرحى... ترى هل فكرنا بمن أسعف هؤلاء الجرحى؟ بمن داواهم؟ أوقف نزيفهم؟ أعاد لبعضهم الحياة وأغمض عيون البعض الآخر بعد أن عجز عن إبقائهم أحياء؟

هم الأطباء الميدانيون... أشخاص نذروا حياتهم منذ أكثر من سنة لمداواة جرحى الثورة، بعد أن رفض النظام مداواتهم لا بل وعذب البعض منهم واعتقل الكثيرين وهم على فراش العمليات... أشخاص يعرضون حياتهم كل يوم لخطر الموت أو الاعتقال في سبيل أن يقوموا بواجبهم المهني والإنساني قبل كل شيء...

تدبرت أمر اللقاء مع أحد هؤلاء الجنود المجهولين، وهو طبيب يعمل دون توقف في أحد المشافي الميدانية في الغوطة الشرقية لدمشق... وكان أن أخذنا الحديث لأكثر من ثلاث ساعات متواصلة... حاولت أن أسأله عن كل ما أود معرفته وهو بدوره أجابني بكل رحابة صدر...

| كيف كانت بداية عملك في الثورة؟ وهل اتجهت فوراً للعمل الطبي والإسعافي؟

| | بدأت بالخروج في المظاهرات منذ الأسبوع الأول للثورة، وكان نشاطي مقتصراً على المظاهرات والمشاركة في العمل السلمي، واستمر ذلك حتى نهاية الشهر الرابع، حين حدث إطلاق للرصاص الحي على المظاهرة التي كنت فيها، وسقط حوالي خمسة شهداء وعشرات الجرحى.

كان الموقف مفاجئاً بالنسبة إلي، فلم نكن على استعداد لمواجهة هذا النوع من العمل. نقلنا الجرحى إلى البيوت القريبة وبدأت بعلاجهم واحداً تلو الآخر بمساعدة الأشخاص الموجودين معي. حاولنا أن نجمع بعض الأدوات الطبية من هنا وهناك واستطعنا إنقاذ معظم الجرحى.

منذ تلك الجمعة، أصبح هذا تقليدنا الأسبوعي. نخرج في المظاهرات، الأمن يطلق علينا النار ونحن نسعف الجرحى إلى أقرب مكان. وهنا انبثقت فكرة إنشاء مشافٍ ميدانية ونقاط طبية مجهزة بالأدوات الأساسية لإجراء العمليات الجراحية، كي تكون جاهزة لاستقبالنا في أية لحظة.

| هل كنت مدركاً لحجم الخطر الذي قد تتعرض له؟

| | بالتأكيد لم أكن أعلم حجم الخطر الذي وضعت نفسي به. كنت أنظر للموضوع على أنه أداء لواجبي ووفاء لقسمي الطبي، إلا أن النظام لم ينظر إلي وإلى باقي الأطباء الميدانيين بنفس الطريقة، فنحن بالنسبة إليه نعالج "الإرهابيين" و"المسلحين" ونتلقى الدعم والتمويل من جهات خارجية، وبناء عليه تحق له ملاحقتنا واعتقالنا لا وبل تعذيبنا وتعريضنا لخطر الموت.

| حدثني أكثر عن الضغوط والمشاكل التي تتعرضون لها.

| | نحن ملاحقون ومطلوبون. لا نملك حرية الحركة والتنقل، ففي كل لحظة نحن مستهدفون وقد نكون عرضة للاعتقال أو القتل. والأهم من ذلك هي الظروف اللاإنسانية التي علينا العمل بها. غالباً ما نضطر لمعالجة الجرحى في ظروف سيئة أو تحت القصف وبدون توفر الأدوات الكافية لذلك، وقد فقدنا الكثير من المرضى نتيجة لتلك الظروف.

هنا أريد أن أنوه إلى أمر مهم أظن أن الكثيرين لا يعلمون به: نحن قابلنا الرئيس في الشهر السادس من العام الماضي ضمن أحد الوفود الذين اعتاد هو استقبالهم في تلك الفترة. خلال تلك المقابلة وعدنا بعدة أمور، منها أن الأمن سيكف عن إطلاق النار على المظاهرات السلمية، وعن ملاحقة الأطباء الذي يعالجون المصابين، إضافة إلى عدم اعتقال الجرحى من المشافي، لكن أياً من تلك الوعود بالطبع لم ينفذ. الوضع استمر على ما هو عليه وكل يوم كان يتجه للأسوأ بالنسبة إلينا.

| ما هو عدد الذين يعملون في هذا المجال؟

| | اليوم نحن لسنا بالكثيرين. أغلبنا اعتقل أو سافر بسبب الضغط والملاحقة، والبعض استشهد. الخوف يسيطر على العديد من الأطباء ويمنعهم من العمل في المجال الميداني وهذا مبرر، فليس من السهل أن يعرض الإنسان نفسه لكل هذا الخطر.

| هل سبق لك أن اعتقلت؟

| | نعم، اعتقلت لمدة شهر ونصف في السنة الماضية.

| هل لك أن تحدثني عن تفاصيل اعتقالك؟

| | بقيت ملاحقاً لعدة أشهر ثم تمكنت قوات الأمن من اعتقالي في كمين مدبر. قضيت حوالي شهر ونصف في المعتقل حيث تمت معاملتي بشكل جيد ومحترم مقارنة بما رأيته من تعذيب وضرب وإهانة للكثير من المعتقلين المتواجدين معي في نفس الفرع. بعد ذلك تمت إحالتي إلى القضاء بعد توجيه عدة تهم إلي منها علاج المتظاهرين، التعامل مع جهات خارجية ودعم المجموعات المسلحة.

| حدثني عن أكثر موقف أثر بك خلال الثورة؟

| | من أكثر المواقف التي أثرت بي هي عندما كنت في أحد المشافي وجلبوا لي جريحاً لأعالجه، وإذ به أحد أصدقائي الذين اعتدت الخروج معهم في المظاهرات. لم يكن لدي الوقت الكافي كي أنصدم أو أحزن، فقد كان على حافة الموت وعلي أن أعالجه بأسرع وقت ممكن.

أذكر أيضاً إخراجي لرصاصة من صدر طفل عمره عام واحد. كانت تلك هي المرة الأولى التي أجري فيها عملاً جراحياً لطفل في هذا العمر، وقد كان إحساساً لا ينسى عندما قمت بإجراء "تفجير صدر" له فصدر عنه فجأة صوت بكاء وقد عادت إليه الحياة من جديد.

| وهل لك أن تخبرني أيضاً عن أجمل لحظاتك، وأصعبها؟

| | أجمل اللحظات على الإطلاق هي تلك التي أتمكن فيها من إيقاف نزيف حاد لمريض ما، أو إعادة قلبه إلى الخفقان.

فليس هناك أسوأ من أن أضطر لإغلاق عيني مريض معلناً وفاته.

| لو أتيحت لك فرصة توجيه كلمة لكل من: النظام، المجتمع الدولي، المنظمات الإنسانية والطبية المحلية والدولية، الشريحة الصامتة فماذا تقول؟

| | النظام: افعل ما شئت فأنت راحل ونحن صامدون.

المجتمع الدولي: كفاكم كذباً. نحن لسنا بحاجة لأي دعم منكم، فثورتنا ستنتصر بإرادة أبنائها وبعون الله تعالى.

المنظمات الإنسانية والطبية المحلية والدولية: أتمنى منهم تقديم غطاء قانوني لحماية الأطباء الميدانيين والمسعفين من خطر الاعتقال والموت كي يتمكنوا من أداء واجبهم بحرية ودون خوف، كما أتمنى أن نحصل منهم على دعم مادي نحن بأمس الحاجة إليه.

الشريحة الصامتة: أريد فقط أن أسألهم سؤالاً واحداً: ماذا لكم أن تجيبوا أولادكم إن سألوكم يوماً ما: ماذا فعلتم لسوريا في تلك الأيام؟ هل وقفتم مع الثورة أم مع النظام أم بقيتم متفرجين لا يعنيكم كل ذلك الدم والدمار؟ هذا تماماً هو ما أقوله لأهلي في كل مرة نتحدث فيها عن مجزرة حماه التي حصلت منذ ثلاثين عاماً.

| هل تخاف الموت؟

| | لا. لا أخاف الموت أبداً. أخاف الوقوع في الأسر والتعرض للتعذيب. إن مت سأذهب للجنة لكن التعذيب على أيدي هؤلاء المجرمين هو أسوأ ما يمكن أن يحصل لي.

| أخيراً، هل هناك ما تود إضافته؟

| | أود أن أقول إنني عندما درست الطب لم أكن راغباً فعلاً بذلك بل درسته نزولاً عند رغبة والدي. اليوم علي أن أقول لوالدي شكراً وأن أنحني لأقبل يديه، فبسببه أنا الآن أعيش أكثر لحظات حياتي إنسانية، وألماً، وحباً.

ملاحظة: خلال الساعات التي كنت أنهي فيها العمل على الحوار السابق، صادفتني هذه المعلومة على إحدى صفحات الفيسبوك:

حسب مصدر رسمي في نقابة أطباء سوريا: عدد الأطباء الذين غادروا سوريا عامي 2011 - 2012 بلغ 17000 طبيب - وهناك مخاوف لدى وزارة الصحة من ازدياد العدد.

الأب باولو ديلو: «القاعدة» في سوريا مجرد وهم والثورة ستنتصر على الحرب الأهلية

■ حوار: محمد علي الأتاسي

قد يكون الراهب باولو دايلو واحدا من أكثر السوريين إنتماءً لوطن مشتهى اسمه سوريا. فهذا الراهب من أصل إيطالي، اكتسب سوريته بالجهد والعرق والحب لهذا البلد والعمل الدؤوب لخدمته. ودير مارموسى الحبشي بالقرب من مدينة النبك، والذي أصبح محجا لكل زوّار سوريا في العقود الماضية، هو خير دليل على الدور الذي لعبه هذا الراهب في ترميم هذا الدير المهجور العائد للقرن السادس الميلادي، وجعله ملتقا روحيا وثقافيا لكل أبناء سوريا.

كان طبيعيا أن ينحاز الأب باولو إلى الثورة السورية وكان طبيعيا أن يرفع الصوت عليا وأن يمضي أسابيعه الأخيرة مع الثوار في مدينة القصير بالقرب من حمص ليحاول أن يصون العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين، وهذا بالضبط ما لم يغفره له النظام ولا المؤسسة الكنسية الرسمية، فسارعا إلى طرده مخافة أن تتفشى ظاهرة الأب باولو. لكنها مع ذلك ستتفشى وتعم، وسيعود الأب باولو إلى بلده سوريا، أبا لكل السوريين.

| هل فاجأك عنف النظام في مواجهة الثورة السورية؟

| | صدقا لم يفاجئني هذا العنف. أتذكر أن السفير الفرنسي أتى لزيارتي في الشهر الأول من العام 2011 في بدايات الربيع العربي وسألني عن رأي في إمكانية وصول رياح التغيير إلى سوريا، كان جوابي له: في حال حدوث شيء من هذا القبيل فإنه لن يكون لا قصير ولا سهل. وأتذكر أنني أعربت له عن مخاوفي من أن يسقط عشرات ألوف الضحايا وأن تتهدد وحدة البلد.

اليوم كلي رجاء أن يتوقف هذا العنف قريبا، فلقد دفعنا ثمنا باهظا وتقسيم البلد لا أحد يريده. لكن هذا الخطر قائم إذا استمر المجتمع الدولي في التنازل عن تحمل مسؤلياته. صحيح أن المجتمع السوري غني في التنوع وحسن الجوار والتعايش المشترك والاحترام المتبادل بين الناس، مع ذلك في حال دخل الناس في منطق الحرب الأهلية، فالكل يتطرف وسرعان ما يتجفف الوسط الثقافي والروحي والأخلاقي والأدبي الحامل للتنوع، وينسحب باتجاه الأطراف.

| في المقابل، هل فاجأتك ثورة الشعب السوري وانضمامه إلى موجة التغيير التي اجتاحت العالم العربي؟

| | هناك عنصر وحيد فاجأني في كل الربيع العربي، ألا وهو الشباب. هؤلاء الشباب فاجئوني بنضجهم السياسي والإنساني وفي استعدادهم للتضحية بحياتهم في سبيل استردادهم لكرامتهم وحقوقهم وفي سبيل قيم الأخوة والمساواة التي يؤمنون بها. أنا في حياتي كلها لم أتعلم عن كرامة الإنسان، بمثل ما تعلمت من الشباب السوري في السنة الأخيرة.

عدا ذلك لم يفاجئني السوريون في تصميمهم على نيل حريتهم وإصرارهم المقاومة، والسؤال هنا هل توقف السوريين فعلا عن المقاومة خلال عمر الاستبداد المديد! حتى بعد الضربة القاسمة التي تلقاها المجتمع السوري بعد مجزرة حماه في العام 1982؟ لا لم تتوقف المقاومة وبقيت السجون ممتلئة بالأحرار والشرفاء، هذا ناهيك عن الأشكال المتعددة من المقاومة المدنية بما فيها الكتابة والاستقلالية ونظافة الكف والمحافظة على القيم داخل البيوت والحفاظ على الدين الخالي من الفساد في مواجهة نظام فقد كل مبررات وجوده الأيديولوجية الأخلاقية وأصبح عبارة عن هيكليه من القمع واحتكار السلطة ونهب الأموال العامة.

| من أين يأتي هذا العنف وهذه الوحشية التي تنتهك كل الحرمات، بما فيها قتل الأبرياء والتمثيل بجثث الأطفال واغتصاب النساء؟ وما هي جذور هذا العنف الذي خلناه غريبا عن المجتمع السوري؟

| | جذور هذا العنف هي الديكتاتورية التي امتدت لأكثر من أربعين عاما، ومنعت عنا تملك ثقافة حقوق الإنسان بمفهومها الحديث. صحيح أن أديانا تمنعنا وتحمينا من ارتكاب مثل هكذا موبقات، لكن في أحيان كثيرة تصبح الأديان حجة لتأجيج الكراهية وتبرير العنف.

في هذا السياق، لا فرق بين البوسنة وبين الصومال أو راوندا أو السودان. عندما تدخل الناس في صراع متخيلة أنه صراع على الأرض والوجود، يصبح قتل النساء والأطفال هو بمثابة استئصال الآخر من الأرض وإبعاده وطرده النهائي، أو بعبارة أخرى إبادته جماعيا.

للأسف الشديد نحن اليوم في سوريا في هذا الشيء، وللأسف الشديد لا أستغرب ذلك وللأسف الشديد كنت متوقعا له. وهذا ليس بشيء جديد في تاريخ البشرية، وعلينا جميعا أن نتبرأ بنعمة الله من هكذا أفعال تنبع من إنسانية قبيحة ومنحطة، هي أقرب إلى التوحش منها إلى الإنسانية. نحن تلقائيا لسنا بأفضل من الحيوانات، لكن المطلوب من الإنسان الجهد والجهاد حتى يرتفع ويترفع، وأولى الدرجات هي احترام الجار واحترام إنسانيته وأخذ القرار أن نعيش سويا وأن نخاف على بعض، لا أن نخاف من بعض. وهذا هو الجهد والجهاد الحقيقي، أما الغرائز والكراهية العمياء، فإنها لا تؤدي إلا إلى المجازر والقتل الجماعي.

| لكن هذه الغرائز وهذه الكراهية، هل يمكن لها أن تفسر كيف يمكن لهذا لقاتل أو شبيح أن ينظر في عيون ضحيته وأن يمسك بلحمها الطري بكلتا يديه قبل أن يهم بذبحها بحد السكين؟

| | ألم تنتبه كيف أنه عندما يريد إنسان أن يضرب إنسانا آخر، فإن أول ما يفعله هو أن يجرده من إنسانيته بإطلاق شتائم بحقه من مثل "يا حيوان" أو "يا كلب". المفجع أن الكلاب عندما تتقاتل فيما بينها، فإنها لا تصل لدرجة الوحشية التي يمكن لإنسان أن يستخدمها ضد أخيه الإنسان، كون الكلاب تعي أنها من ذات الفصيلة، أما الإنسان فإنه يخرج أخيه الإنسان من فصيلة البشرية، ويجعل منه في مخيلته حيوانا أو حشرة، حتى يبرر لنفسه أن يدعسه أو يقتله أو يبيده!

من هنا فأنا لا أستطيع أن أتفاجئ بما يحدث الآن في سوريا، ولكنني أتأسف وأحزن وأتألم. نعم لا أتفاجأ، لأنني رأيته قادما وحذرت وكتبت. وأنا اليوم كسوري من أصل إيطالي، أقول للسوريين أجمعين، موالين ومعارضين، لسنا بأحسن من الايطاليين أو الاسبانيين أو الألمان، كي لا نبيد بعضنا بعضا، ومن هنا أهمية أن نشتغل على أنفسنا وأن نسترد إنسانيتنا لتجنيب سوريا ويلات الحرب الأهلية التي عاشتها الكثير من بلدان العالم.

| قد نكون كلنا في الهم شرق، لكن ألا تعتقد معي أننا لا نستطيع أن نضع النظام ومؤيديه وشبيحته في ذات المنزلة مع الثورة ومؤيديها؟ طبعا هذا لا يعني أن الثوار جميعهم ملائكة، لكن التفوق الأخلاقي هو بالتأكيد في صالحهم. ما رأيك؟

| | هذا السؤال مهم وأقر أن في كلامك الكثير من الصواب، لكن دعني أوضح بعض الأمور. هذا النظام الاستبدادي عاش منذ البداية على الكذب وعاش على ممارسة كافة أنماط العنف والتعذيب والتشويه والكراهية وتجريد الناس من إنسانيتهم، كجزء لا يتجزأ من منظومة السلطة وممارساتها. ونتج عن هذا تكاذب جماعي وعبادة للفرد وتقديس لرموز السلطة. من هنا أصبح الكذب والتكاذب جزء من الممارسات الشائعة والضرورية التي يتواطأ عليها ويرتكبها الكثير من الناس العاديين ومن المؤيدين، بمن فيهم العديد من رجال الدين من كافة الطوائف. ونتج عن هذا ولادة إنسان مزدوج، يختلف بين الصورة التي يراها في مرآته دخل بيته والصورة التي يمارسها بالخارج ويقدمها للآخرين.

في المقلب الآخر، مقلب الثورة، هناك أناس يريدون الشفافية والانعتاق من الكذب والعمل على استعادة الحقوق المشروعة. أناس يكتشفون من جديد فرح التدين الذي تطابق فيه النظرية مع الشيء المعاش على أرض الواقع.

دعني أعطيك مثالا بسيطا يوضح ما أقوله. دخلت بيتًا من بيوت الجيش الحر على خطوط الاشتباكات، وأثناء الزيارة طلبت أن أذهب إلى المرحاض فوجدته غاية في النظافة على غير العادة مع المراحيض التي يستخدمها العسكر، فقلت لهم هذا المثال على بساطته هو مؤشر على التبدل الذي طرأ على هؤلاء الجنود المنشقين حتى أنهم أصبحوا في أبسط الأمور يبحثون عن الشفافية والنظافة. هذا ناهيك عن أن العلاقات كانت فيما بينهم علاقات أناس أحرار، لا بل أن ملامح المواطن الحر كانت واضحة في وجوههم ومحياهم. أنت أمام أناس أحرار، أنت أمام إنسان جديد تشعر بذلك من الوهلة الأولى من ملامحهم ومن جلستهم ومن شدة الظهر ومن نظرة العين ومن غياب الازدواجية وغياب الخوف. تشعر أنه لم يعد هناك شرخ بين الصورة والحقيقة.

جاء ذات مره لعندي شباب مسلمين يريدون أن يتطوعوا بالجيش الحر وقالوا لي: وصينا أبونا؟ وهؤلاء المسلمون ينادونني تحببًا "أبونا"، فقلت لهم: يا شباب حافظوا على كرامة عدوكم. وقلت ذات الشيء لضابط مخابرات فتح لي ذات يوم قلبه.

إذا استطعنا المحافظة على هذا الشيء وتعميمه، فإنه يمكن له أن يحمينا من الوقوع في شرك الممارسات اللاإنسانيه والتشبه بعدونا. وهناك شغل مضني في هذا المجال لصيانة كرامة وحرمة جسد الإنسان كأنا من كان، حتى لو كان عدوك الذي ظلمك وعذبك واستباحك. فعندما تسمح لنفسك بتشويه كرامة عدوك (الذي تنازل عنها وشوهها بنفسه) فأنت تشوه كرامتك وتتنازل عنها. و سوريا الجديدة يجب أن تبنى على هذا الأساس ويجب أن ترسخ فيها ثقافة حقوق الإنسان الحديثة التي لا تسمح بمس الأسير أو المعتقل وتعذيبه، مهما كانت الجرائم المتهم بها.

وكم كان مهما ومؤثرا ما قاله لي أطباء المشفى الميداني في مدينة القصير، من أنهم لا يخنون قسمهم الطبي ولا يفرقون بين الجرحى، بل يقدمون لهم كل الإسعافات الضرورية، سواء كانوا من الجيش الحر أو الجيش النظامي أو كانوا أسرى لدى الثوار. هذا هو الموقف الأخلاقي والإنساني الصحيح، أما الموقف المدان فهو ذاك الذي يقصف المستشفيات الميدانية ولا يتوانى عن قتل الأطباء والممرضات والجرحى أو جرهم إلى غرف التعذيب. هنا الفرق وهنا تفوق الثورة الأخلاقي، فلننتبه لنحافظ على هذا الفرق ونصونه. وكرامة الوطن في النهاية تأتي من قدرة الذي ينتصر بالقيم أن يتقاسمها ويعممها على جميع أبناء الوطن، بمن فيهم من كان مغرر به من قبل النظام.

وحتى تكتمل الصورة، أحب أن أشير إلى أنه في داخل الثورة مجموعات تسيء إليها وتستفيد منها، أكثر بكثير مما تفيدها. هناك مجموعات سرية متطرفة دينيا، ومع كل احترامي لمعتقداتهم ولدوافعهم، لكن المجموعات السرية المتطرفة والمنغلقة على نفسها هي سرطان للثورة، سرطان للقضية، وعلينا جميعا أن نجفف مستنقعات السرية والتطرف التي يقتاتون منها وأن نستردهم إلى الحراك الثوري الحقيقي. فهذه الفئات هي المبرر الأعظم للأقليات حتى يصطفوا مع النظام، وهي المبرر الأكبر للعالم الغربي حتى يتركنا سنة أخرى نواجه مخاطر الحرب الأهلية. وفي النهاية الثورة التي لا تضبط نفسها، هي ثورة خاسرة اليوم وغدا.

| اسمح لي أن لا أتفق معك في استخدامك لمصطلح الحرب الأهلية في الحالة السورية، كون احد الأطراف يملك جيش جرار وأسلحة ثقيلة وأجهزة أمن، والطرف الآخر لا يزال يغلب عليه الطابع الأهلي؟ صحيح أن هناك نظام يتعامل مع شعبه بمنطق الحرب الأهلية، لكن في المقلب الآخر هناك مقاومة بطوليه لمنطق الانجرار إلى الحرب الأهلية، ما رأيك؟

| | في سوريا هناك ثورة. والجديد فيها، كما هو الحال في كل ثورات الربيع العربي، هو ثورة الشباب وهذا هو الشيء الذي لم يفهمه لا الدكتور بشار الأسد ولا بوتين ولا أحمدي نجاد، الذين لا هم لهم سوى الاحتفاظ بالسلطة مستخدمين مبررات من مثل الممانعة أو المقاومة أو أهل البيت أو حتى المصالح القومية لروسيا الاتحادية.

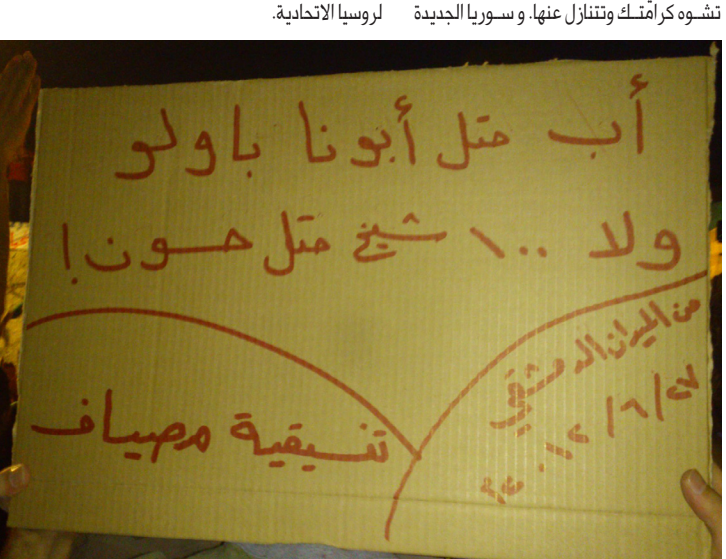

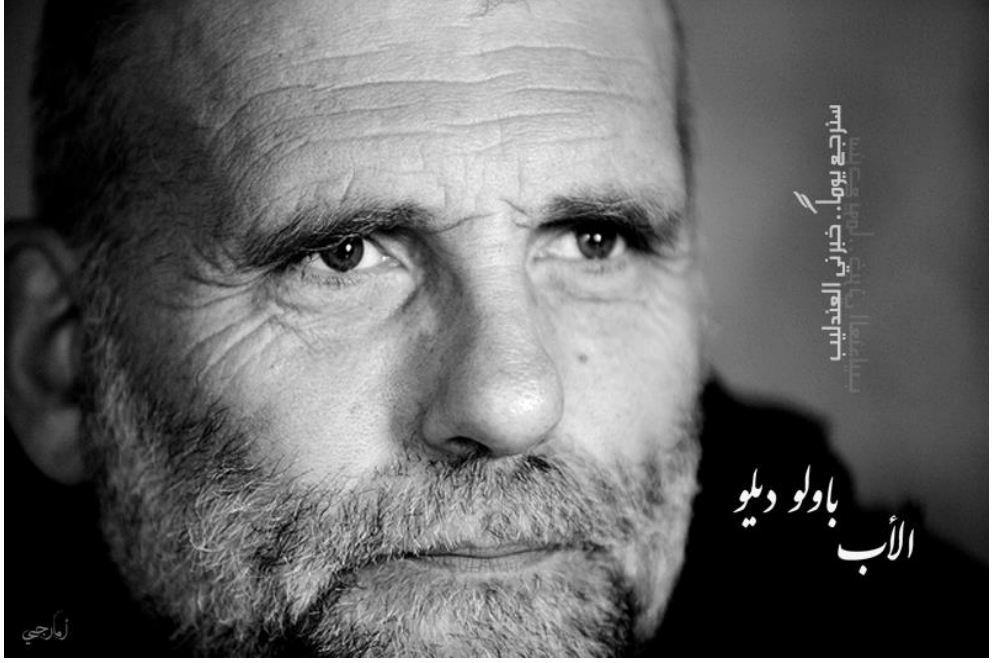

نعم في سوريا هناك ثورة وأنا اقرّ بهذا ومن حق الشعب السوري أن يقوم بهذه الثورة، لكن هناك بالتوازي مع هذا، حرب أهلية كون النظام استطاع على مدى سنين طويلة أن يجمع من حوله فئات من المجتمع. وبغض النظر كيف نجح في جمع هذه الفئات، بالمخاوف أو بالأوهام أو بالمصالح أو بالتهديد، فإن هذا الجزء من المجتمع متخثر من حول السلطة ومن حول آل الأسد وهو مستعدٍ أن يحارب من أجلهم. وللأسف حتى جغرافيا، فأن جزء مهم من هذه الفئات متجمع في مناطق بعينها، حيث بوادر الحرب الأهلية وقسوة القمع ماثلة للجميع في مناطق الاحتكاك التي أسميها المناطق الشهيدة وهي الواقعة على أضلع المربع الممتد بين نهر العاصي ومدن الساحل السوري، وهذا هو نطاق الحرب الأهلية.

| أريد أن أسألك رأيك بفئة أخرى من المجتمع، لم تقتل يوما حشرة في حياتها وهي غير مستعدة أبدا أن تقتل أو تغتصب أو تعذب أو تمارس العنف المباشر، لكنها في ذات الوقت تستمر في تأييد النظام وتتعامى عن عنفه وترفض بشكل عصابي تصدق أو تقر بانتهاكات النظام؟

| | هذه للأسف آلية قديمة ومعروفة. أنا سمعت شخصيا بإذني هاتين، سيدات من المجتمع المخملي، وهنّ من أنظف الناس وأكثرهم أناقة وثقافة، يقولون بكل راحة ضمير: "معليش سوريا من دون مليون أو مليونين زيادة، خلينا نخفف شوي من هذه الزبالة. شو المشكلة".

أنه البغض الذي يجد سبيله إلى القلب والخوف الذي يعمي البصيرة. هؤلاء الناس هم من طينة السكان البولونيين والألمان الذين عاشوا حياة طبيعية من حول معسكرات الإبادة النازية، يمارسون حياتهم الاعتيادية ويزرعون أراضيهم ويرسلون أولادهم للمدارس ويتظاهرون أنهم لا يعرفون وهم في العمق يعرفون ماذا يجري في جوارهم من جرائم ضد الإنسانية.

هناك أناس تعرف في العمق أن هذا النظام قائم على القمع والقتل والخوف، لكنها تتعامى عن كل هذا ولا تنفك تردد أن هذا النظام يحمينا وأنه في حال سقوط النظام ستنفلت الوحشية وستفقد الإنسانية، مع أنها تعلم علم اليقين أن الوحشية هي تلك التي تمارس في زنازين النظام وأن الإنسانية هي التي تستباح في معتقلاته.

| رغم الدور المهم الذي تلعبه العديد من الناشطات والناشطين السوريين من أبناء الطائفة المسيحية في صفوف الثورة، فإن هناك حالة جفاء طبعت علاقة الكثير من أبناء الطائفة المسيحية بالثورة، ماذا تقول للخائفين أو المترددين منهم؟

| | دعنا نقول أولا أن السجون جمعت كل أطياف وألوان الشعب السوري، وهذا الشعب يعرف بالعمق أن جميع مكوناته دفعت ثمنا باهظا في سبيل نيل حريتها.

مع ذلك كل ما أريد أن أقوله للمترددين: هو أن المتأخر أحسن من الغائب، فهلم نلحق بالصحيح. وهلم بالاهتمام بالضحايا وهلم باستقبال النازحين وهلم برعاية المحتاجين وهلم بالرحمة على اليتامى. أقول لمن يشعر منهم أن هذه الثورة ليست ثورته، لا بأس ولكن لتكن حياديا ايجابيا ولتمارس ما يقوله دينك: طوبى للفقير وطوبى للذي يبحث عن السلام وطوبى للذي يُضطهد في سبيل البر.

| ماذا تقول للخائفين والساكتين من أبناء الشعب السوري كافة؟

| | أقول أن الخوف يمكن أن يجعلك متآمرا مع النظام ويمكن أن يجعلك جزء لا يتجزأ من النظام ويمكن أن يجعلك مجرم حرب. وبالتالي فلا يتخيل احد أن خوفه، يمكن أن يجعل منه بريئا.

في ذات الوقت أقول للمعارضة كلها وللثورة، ماذا قدمنا من ضمانات سياسية؟ ماذا قدمنا من ضمانات قانونية؟ ماذا قدمنا من ضمانات لحماية الخصوصيات الدينية والمحلية والقومية؟

نحن لا نريد أن نصعد إلى القرادحة بصيحة "اللّه أكبر" ونشيل 10 آلاف قتيل. هذه ليست ثورتنا وهذا ما لا نريده. المجرم سيوقفه العلويون أنفسهم وسيقدمونه للمحاكم الدولية. هذا ما نريد وهذا ما نسعى له، وبمثل هذا ستنتصر الثورة.

السؤال هو هل نحن نريد أن ننتصر أم نريد أن نخسر أنفسنا؟ إذا لم تعطي لعدوك مخارج مقنعه وإذا فرضت عليه المعركة كمعركة حياة أو موت، فإنه سيقاتل حتى النهاية ومن دون ضوابط.

في كل الأديان، بما فيها الإسلام، ليس هناك أقوى من الانتقام، سوى المصالحة. وليس هناك أقوى من الثائر، سوى الغفران. نحن نريد هذا الوطن بكل مكوناته وبكل قراه وبكل مدنه وبكل شعبه. بالنسبة لي الإنسان العلوي المتهامى مع السلطة مظلوم أكثر من غيره لأنه منخور في كرامته وقيمه وقلبه، ولأنه مسخر ومستعمل لهذا الاستبداد المشين. في النهاية هذا الإنسان العلوي أو الإنسان المسيحي هو مواطن نريد أن نطمئنه ونقنعه أننا نريده وتشتهيه بيننا مواطنا حرا في وطن واحد.

| ماذا يمكن أن تقدم الثورة من ضمانات إضافية؟ لقد خرجت الناس منذ اليوم الأول من الجوامع تنادي "واحد واحد واحد الشعب السوري واحد"، كما رفع الهلال والصليب من تحت قبة النسر في الجامع الأموي، وأجمعت جميع قوى المعارضة على مدنية وديمقراطية الدولة بعد سقوط نظام الأسد؟

| | دعني أقولها بصراحة، نحن المسيحيون لا نخاف منكم. نحن المسيحيون، حتى لو لم يعجب هذا الكلام البعض، أمانة في أعناقكم، وإذا المسلم لم يحترم الأمانة التي سلمه إياه الرسول محمد، وقام بظلمنا وطردنا، فأنتم يا أيها المجتمع المسلم ستذبحون بعضكم بعضا في حروب أهلية ستمتد إلى يوم الدين. المشكلة اليوم ليست بين المسلمين والمسيحيين. المشكلة اليوم هي بين المسلمين أنفسهم، وهي تتجاوز سوريا نفسها، التي أصبحت فصلا من كتاب يخص الصراع السني - الشيعي في المنطقة كلها.

نحن في سوريا خلقنا لنعيش مع بعض. التاريخ يطلب هذا. الجغرافيا تطلب هذا. اللغة تطلب هذا. ومن أجل أن نعيش سويا علينا بالمصالحة. لكن المصالحة لها شروط، أساسها أن تعود الحقوق لأصحابها. هناك مجرمين يجب أن يحاكموا. هناك يتامى يحتاجون إلى تعويض، هناك بيوت دمرت ويجب إعادة بنائها، هناك أثاث سرق من بيوت وحارات مدينة حمص وبيع بأبخس الأثمان، يجب أن يعاد لأصحابه.

| هناك شخصية محورية في الكنيسة الكاثوليكية في دمشق، لها مصداقية وتأثير ونفوذ كبير في أوساط المسيحيين الدمشقيين هي الأب الياس زحلاوي. وهذه الشخصية الدينية هي اليوم من أكبر المشككين بالثورة والمدافعين عن النظام، كيف تفسر ذلك؟

| | الأب زحلاوي هو مربي حقيقي للأجيال ومرشد للقيم الروحية الصحيحة، لكن حبه القومي لوطنه أعماه ولم يعد يستطيع أن يفهم على الشبيبة التي رباها بنفسه. وأنا متأكد أن هذا الجيل سيغفر له، إستطفافه مع النظام الذي ظلمه وظلمنا، وهو يعرف هذا. وهذا الاستطفاف يأتي في رأي من خوف عميق من الإسلام السياسي. فالأب زحلاوي المعروف بانفتاحه وروحانيته ومعاداته للظلم ولقوى الطغيان العالمي، جعله خوفه هذا، لا يرى أو لا يريد أن يرى! أصدقاؤه في السجن وهو لا يريد أن يرى! طلابه وشبيبته في معتقلات الأسد وهو لا يريد أن يرى! أنا أكيد أنه يساعد ويحاول أن يخرج الشباب من السجون، لكنه مع ذلك لا يريد أن يرى!

مع ذلك أنا لازلت مؤمنا أن الأب زحلاوي هو الإنسان الذي يجب أن لا تخسره الثورة. فنحن نحتاج إليه بعد الثورة، كما كنا نحتاج إليه قبل الثورة في سبيل تنشئة الجيل الجديد على قيم الانفتاح والتسامح والأخوة. لقد ربى هذه الشبيبة التي قامت بالثورة التي لم يستطع أن يراها، فالتغفر له خطيئته. وآخر أيامه في سوريا الحرة سيشكر هو في كلامه السوريين الذين حرروه وحرروا كلمته وحرروا موقفه.

| معنى هذا أن الثورة إذ نجحت ستحرره من خوفه من الإسلام؟

| | لا تستخدم "إذا" الشرطية. ما في "إذا"! لتقل عندما تنجح الثورة ستحرر الكثير من المواطنين من خوفهم من الإسلام لأنها ستريهم وجها آخر للإسلام متنور ومتسامح بعيد عن التعصب والفئوية وعن تسخير الدين لغايات سياسيات ضيقة أو فئوية.

| ماذا يمكن أن تقول لبشار الأسد شخصيا؟

| | يا ليته يسمع ما قاله له الرئيس التونسي بأن يتنحى ويرحل وليرحم نفسه ويرحمنا. العدل يمكن له أن ينتظر قليلا، ولكن ليرحل وليوفر على هذا البلد وهذا الشعب المزيد من العذاب. أقول له: أنني متأسف جدا على كل الفرص التي وضعها السوريون بين يديك ولم تحسن استغلالها. أنا شخصيا بعثت لك أكثر من عشر رسائل في السنيين الماضية، لكنني لم أنجح في فتح ثلمة في جدار الانغلاق والتحصن والتشبث بالسلطة. أكيد هناك مسؤولية شخصية ولكن أنت برأي ضحية قدرك التعيس وضحية هذا النظام الذي أورثه لك والدك. أنا جد متأسف وأتمنى أن أستطيع مساعدتك، وواجبي الإنساني أن أمد يد المساعدة، إذا كان هناك من سبيل.

| ما هي أصعب الأوقات التي عشتها داخل سوريا خلال الثورة؟

| | أصعب لحظات كانت لحظات الانفجارات الكبيرة في دمشق، أحسست أن قوى الشر شنت الحرب على الشعب السوري وأن الكذب وصل إلى النخاع الشوكي، وأن التآمر في مستنقع المافيات والمخابرات يقدم لنا أبشع ثماره. صحيح أن هناك فئات دينيه متطرفة، لكنها مسخرة. كانت مسخرة على يد السي أي إيه في أفغانستان ومن ثم سخرت على يد غيرهم في العراق، واستخدمت بالرومون كونترول في لبنان، فلا جديد على الشاشة.

أنا كتبت رسالة مفتوحة إلى كوفي أنان، أقول له فيها: إذ كان سكرتير الأمم المتحدة بون كي مون يتكلم بأنه صار واضحا أن هناك "القاعدة"، فهل أنتم بالأمم المتحدة إلى هذه الدرجة أغبياء وجهال! ألا تعرفون في الأمم المتحدة أن هذه الفئات المتطرفة تستخدم وتسخر، ليس فقط من قبل المستنقع المخابراتي السوري، ولكن أيضا من قبل المستنقع المخابراتي الدولي.

| كيف تفسر غياب التضامن الفعال مع الثورة السورية من قبل منظمات المجتمع المدني في الغرب ومن قبل الكنائس والنقابات وأهل الثقافة والفن؟

| | السبب الأول هو التخويف من الفزاعة الإسلامية. فقد نجح هذا التخويف في تثبيط مشاعر التضامن في صفوف شرائح المجتمعات الغربية. هذا ناهيك عن الإشباع الإعلامي الذي يبطل أهمية وأولوية المأساة السورية وجعلها خبرا من بين بقية الأخبار في نشرات الأخبار.

| دير مار موسى هذا المكان الرائع المتربع في جبال القلمون على بوابة الصحراء، بقدر ارتباطه بالأرض والتاريخ، صار منذ أن سكنته ورممته وأحييته، شديد الارتباط بشخصك واسمك. كيف هو شعورك وأنت مبعد اليوم قسرا عن هذا المكان، وهل سيكون هذا الدير يوما هو منتهاك؟

| | شعور بألم الشديد، لا يمكن وصفه. لقد قلت سابقا: ما أحلى الموت في سوريا، من الخروج إلى المنفى. أنا خرجت اليوم إلى المنفى لأذوق ما تذوقه آلاف وآلاف من السوريين منذ عشرات السنين، وطعم المنفى حقيقة مرّ. عندما وضعوا ما سموه دستورهم الجديد، كتبوا فيه أن رئيس الجمهورية يجب أن لا يكون مقيما خارج سوريا. قلت في نفسي عن ماذا يتكلمون! فكل الذين هجروا ورموا في المنافي وظلموا، لا قيمة لآلامهم وعذاباتهم، ومشكك في الدستور الجديد بصدق انتمائهم للوطن.

أما أين هو منتهاي؟ فأنني أذكر في ذكرى الجمعة العظيمة العام الماضي خرجنا من الدير إلى الوادي باتجاه مقبرة الرهبان بالقرب من صخرة ضخمة. هناك لاحظت مكانا ضيقا، بطولي تقريبا، يمتد بين شق صخري وبين شجرة زيتون زرعها أحد الرهبان ونمت بين الصخور، فقلت للجماعة: إذا أراد اللّه وترحم عليّ، فهنا مثواي. إن شاء اللّه أن يستجيب لهذه الأمنية.

| أبونا باولو، برأيك هل مصير هذه الثورة النجاح في النهاية؟

| | هذا ليس رأي، هذا رأي الحق. هذه الثورة، اللّه قدرها للنجاح، لأن ما دفع لها من ثمن مقدر عند اللّه، وما ذهب من ضحايا أبرياء هو فوق كل ما يمكن أن يبذل. واللّه لا يمكن له أن يضيع عذابات اليتامى والأرامل ولا أن يفرط بتضحيات الأهالي.

نشر الحوار منقحاً في جريدة الحياة اللندنية
2012 / 7 / 3

سقط النظام السوري فمتى يرحل؟

■ الياس خوري

أعلن لقاء جنيف سقوط النظام السوري، وان بدأ أن اللقاء لم يصل إلى نتائج حاسمة وترك لنصه الغامض أن يكون عرضة لتأويلات شتى لن تتضح ملامحها النهائية الا في ارض الصراع السوري المستمر. حتى العرّاب الروسي لم يجد سوى التحايل اللفظي كي يعطي بعبارات مائعة ما بات واضحاً. فقد بشّار الأسد صلاحيته، وصار اليوم عبئا على حلفائه ورعاته.

اللعبة الدولية دخلت في مرحلة جديدة بعد لقاء جنيف، لكنها أعلنت بصريح العبارة كيف تعيش القوى الدولية، او ما كنا نطلق عليه اسم القوى الاستعمارية، على دمنا، وتستخدمه أداة لبسط نفوذها او الدفاع عن مصالحها، من دون أي مراعاة للضحايا والمعاناة، ومن دون أي اعتبار للقيم الإنسانية.

الأمريكان وحلفاؤهم قدموا طوال تاريخهم في التعامل مع منطقتنا البرهان تلو الآخر على صحة ما نقول، من الحصار الوحشي الذي فُرض على العراق إلى الاجتياح المغولي الذي قام به الامريكيون هناك، هذا من دون أن ننسى المواقف الغربية والأمريكية المشينة فيما يتعلق بالاحتلال والقمع الذي يعيش في ظله الشعب الفلسطيني.

اليوم جاء دور روسيا، فروسيا العائدة إلى الحلبة الكولونيالية بعد سنوات الغيبوبة التي اعقبت سقوط الاتحاد السوفيتي لم تجد من وسيلة للدفاع عن هيبتها سوى في دعم النظام الأسدي. وما بدا منذ الفيتو الشهير في مجلس الأمن، وكأنه إحراج للأمريكيين وحلفائهم تحول إلى مصيدة لروسيا. فلقد أعطى الأسد كل المهل، وكل الدعم السياسي والعسكري من اجل ان ينجح في القضاء على الثورة. وكانت حسابات الروس قائمة على معادلة قوة الجيش الموالي في مواجهة الشعب، ولعبت على جبال جميع التناقضات من حماية الأقليات إلى التخويف من الإسلاميين الجهاديين. لكن النظام السوري فشل في الامتحان الذي اثبت أن شعبا مصمما على الحرية لا يمكن قهره. ورغم تردد ما اطلق عليه اسم "أصدقاء سورية"، في دعم الثورة، ورغم شحة المساعدات، فلقد نجح السوريون وسط تضحيات هائلة في صدّ جميع محاولات النظام لوأد الثورة، بل أن الثورة الشعبية ورديفها المسلح، أي الجيش السوري الحر، أثبتت قدرة كبرى في الصمود، إلى درجة أن اجتياح بابا عمرو، لم يستطع فرض الانهيار على حمص، التي لا تزال محررة وتقاوم.

الفخ الذي سقط فيه الروس لم يكن فقط بسبب لامبالاتهم الجليدية تجاه الألم السوري العظيم، فالقوى الاستعمارية الأخرى تشترك معهم بنسب متفاوتة في هذه اللامبالاة، بل بسبب وضعهم كل بيضهم في سلة النظام، معتقدين بسذاجة مفرطة أنهم يستطيعون حمايته والمونة عليه عندما يأتي وقت التسوية. فكسبوا عداء الشعب السوري وظهروا بوصفهم دولة كولونيالية لا تبالي بتطلعات الشعوب، وتحاول الحفاظ على ما بقي من إمبراطوريتها المتداعية على جماجم السوريين وجثثهم.

اللعبة المليئة بالكلبية والاستهتار بدت في البداية وكأنها قادرة على النجاح في تغطية الجريمة وشرعنتها، خصوصا وان الشعب السوري خاض ثورته وحيدا وبلا اي دعم يذكر، ما عدا الكثير من الكلام والاعلام واللاشيء.

في المقابل لعب الامريكيون الصراع بهدوء، فهم أيضا ليسوا معنيين بسورية ديموقراطية وحرة، ودعمهم للثورة بقي ضمن حدود نصب فخ للروس، من اجل توريطهم أكثر. وخير مثال على ذلك كان الرد الباهت على اسقاط الطائرة التركية، حيث تم ابتلاع الإهانة كي لا تدور المفاوضات في جنيف على إيقاع احتمالات حرب إقليمية، ما يعطي الروس ورقة تفاوضية إضافية.

الروس متورطون الآن في نظام يتهاوى، وهم يكتشفون أنهم لا يمونون على الأسد الابن إلى درجة دفعه للقبول بحكومة انتقالية تعلن نهايته. فالرجل استخدم الاحتياطي الأخير الذي يملكه، حين ذهب إلى الإيرانيين ليعطي حديثا للتلفزيون الايراني عشية لقاء جنيف يعلن فيه رفضه المسبق للقرارات الدولية المتعلقة بسورية.

الأسد الابن سوف يخوض المعركة إلى النهاية، ومهما كان الثمن. والنهاية في عرف النظام هي نهاية سورية التي تحمل في طياتها ايضا نهاية النفوذ الروسي فيها.

هنا يبدأ المأزق الروسي في الظهور بشكل واضح. ما يريده النظام هو الانتقال إلى حرب اهلية شاملة، وهذا ما أعلنه الرجل بعد تشكيل حكومته الجديدة، وهو ينفذه بلا هوادة.

ماذا سيفعل الروس بحليفهم الذي يتداعى؟

السياسة الروسية أمام أمرين أحلاهما مرّ:

الأول هو إعلان التخلي عن النظام، ما يعني بداية تفككه الشاملة، وانهيار المؤسسة العسكرية التي تشكل مركز نفوذها الوحيد في البلاد.

الثاني هو الاستمرار في دعم خياره الجنوني الذي سيعني حربا قد تطول، لكنها ستقود في النهاية إلى هزيمة النظام وتفكيك جهازه العسكري وضرب بنى الدولة السورية، ما يعني أن الروس سيفقدون آخر موطئ قدم لهم في سورية.

هذا هو الفخ الذي تحاشى الأمريكيون، حتى الآن، السقوط فيه في مصر، عندما تدخلوا بقوة لمنع المجلس العسكري من تزوير نتائج الانتخابات الرئاسية المصرية، وبذا نشأ توازن جديد للقوى في مصر، يحافظ مؤقتا ربما على النفوذ الأمريكي الذي يتجسد في الجيش أساسا، كما انه بدأ يمتد إلى الإخوان وان بشكل أكثر خفراً.

الروس غير قادرين الآن على اجتراح حل سوري مشابه، وهذا ناجم عن طبيعة نظام المافيا العسكرية - الاقتصادية - السياسية التي ابتدعها الاسد الأب من جهة، وعلى جنون الابن وسذاجته واصرار العائلة الحاكمة التي تستعد للتصرف على الطريقة القذافية، من جهة ثانية.

الحلّ المصري او اليمني يشكل خلاصا للأمريكيين والروس من المجهول، لكنه ليس متوفرا، وثمن عدم توفره لن يُدفع إلا من الجيب الروسي، لأن أي تداع لآلة الدولة السورية سوف يعني نهاية النفوذ الروسي بشكل كامل، بينما تمتلك الولايات المتحدة الاحتياطي الإسلامي المعتدل من الإخوان إلى الأتراك، كي لا يتخذ سقوط النظام السوري شكلاً أفغانياً.

الكرة إذا في الملعب الروسي. والسؤال الوحيد اليوم هو هل يمتلك الروس ما يكفي من النفوذ والقدرة على اقناع الأسد الابن بأن عليه ان يرحل، و/ أو إطاحته بأدوات النظام نفسها تمهيدا للدخول في تسوية تحفظ لهم الحد الأدنى من النفوذ؟ أم أنهم سقطوا في فخ لا مخرج منه؟

وفي الجانب الآخر الذي يعنينا أساسا، أي الجانب الذي تصنعه الثورة السورية المجيدة ببطولاتها الأسطورية، فان الثورة مستمرة بصرف النظر عن المناورات الدولية، وهي تعيش اليوم مرحلة الانتقال من الصمود إلى رسم ملامح النصر، وستكون هي من يعلن رحيل النظام بعدما اعلنت سقوطه.

عن القدس العربي 2 / 7 / 2012

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (14795)

دمشق: 370
ريف دمشق: 1700
حمص: 5257
حلب: 630
حماه: 1735
اللاذقية: 322

طرطوس: 36
درعا: 1511
دير الزور: 784
الحسكة: 98
القنيطرة: 22
الرقة: 58
ادلب: 2261
السويداء: 9

1309 عدد العسكريين
13486 عدد المدنيين
696 عدد الإناث
370 عدد الأطفال الإناث
999 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 7 / 7 / 2012
http://vdc-sy.or